التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية

العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب
التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية
تأليف
آية الله العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي
إعداد وتحقيق وتصحيح
الدكتور الشيخ حسين اليوسف
الطبعة
الأولى، ٢٠٢٤م
نشر
مؤسسة حفظ ونشر تراث العلامة الآصفي
البريد الإلكتروني
m.m.alasefi@gmail.com

الفهرس

كلمة المؤسسة ٧

التحدي والتحدي الآخر

١. ميلاد التحدي ٩
٢. التحدي الكبير ١٠
٣. التحدي الآخر ١٠
٤. المقارنة بين التحديين ١٢
٥. التحديات الإسلامية الكبيرة المعاصرة ١٣
٦. التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا ١٤
٧. الدّوْران المتعاكسان للتحدي ١٥
الدور الإيجابي للتحدي ١٥
الدور السلبي للتحدي ١٦

التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا

التحدي الأول: الاحتلال ١٩
التحدي الثاني: الإرهاب و التطرف الديني ٢٧
التحدي الثالث: العَولمة ٣٤

مفردات المشروع الإسلامي لمواجهة التحديات

المفردات التربوية الثقافية ٤٢
١. مكافحة حالة الهزيمة النفسية ٤٢
٢. التقوى والمقاومة النفسية ٤٣
٣. الصبر والتقوى ٤٤
٤. الإعداد التربوي للجيل الناشئ والصاعد ٤٤
٥. إشاعة ثقافة الجهاد والمقاومة ٤٥

٦. تحديد المفاهيم وإزالة اللُّبس ٤٦
المفردات الحركية ٤٩
١. مقابلة التحدي بالتحدي ٤٩
٢. المرابطة والحضور الواعي في الساحة ٥١
٣. الوعي السياسي والإحساس بالمسؤولية ٥٤
٤. الحركة والمراقبة ٥٦
٥. المقاومة ٥٧
المفردات السياسية ٥٨
١. الخطاب السياسي ٥٨
خطاب الأمة والخطاب الرسمي ٥٩
عناصر الخطاب الإسلامي ٥٩
٢. توحيد الخطاب السياسي ٦٢
٣. الحوار والتفاهم ٦٥
٤. المطاوعة ٦٦
٥. الطاعة ٦٨
٦. العقلانية والموضوعية في القرار ٧١
المفردات الاقتصادية في المشروع الإسلامي ٧٣
العامل الاقتصادي من مكونات القوة في العالم ٧٣
تدوين المشروع الإسلامي ٧٥
العلاقة بين الشرق والغرب ٧٦
فهرس المصادر ٧٩

كلمة المؤسسة

بين يدي القارئ سلسلة تتضمن مؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي﵀ حول المقاومة وثقافة المقاومة، كان قد ألّفها الشيخ بنفسه أو ألقاها على شكل محاضرات، ثم تم تفريغها وصياغتها وطباعتها.

لطالما عُرف سماحة الشيخ﵀ بآرائه ومواقفه السياسية المؤيدة للمقاومة ضد أشكال الظلم لاسيما الحكومات الظالمة والاحتلال، ومن ذلك مواقفه الحازمة ضد حكومة الطاغية المقبور صدام حسين، وضد حكومة الشاه في إيران، وغيرهما من الحكومات الظالمة.

وعُرف أيضا بمواقفه المؤيدة للمقاومة الشريفة والحقيقية في كل مكان لاسيما حزب الله في لبنان، والمقاومة في فلسطين، ضد الاحتلال الإسرائيلي الغاشم والجبان.

من هنا ومن باب القيام بالتكليف أوّلا، وفي سبيل إشاعة ونشر ثقافة المقاومة ثانيا، قام سماحة الشيخ﵀ بترجمة هذه الآراء والمواقف على شكل مؤلفات أو محاضرات في مناسبات مختلفة.

وفي سبيل إحياء ونشر تراث الشيخ﵀، وإشاعة ونشر ثقافة المقاومة كما أكد

سماحته وأراد، قامت مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي ﷺ بما يلي:

١. جمع آثار الشيخ الآصفي حول المقاومة في سلسلة واحدة من حلقات، ومرتّبة منطقيا؛ وذلك لتعطي فكرة علمية متكاملة ومتسلسلة ومنطقية عن المقاومة في فكر سماحته، وليسهل على القارئ الاطلاع على هذه الآثار والأفكار العلمية، وحِفظًا لها من التشتت والضياع.
٢. إعادة تبويب وترتيب وصياغة بعض العناوين والمباحث.
٣. تحقيق وتخريج المصادر وتدقيقها وتصحيحها.
٤. تصحيح المتن وتدقيقه نحويا ولغويا وطباعيا.
٥. إعداد فهرس خاص بالمصادر والمراجع لكل حلقة من السلسلة، مع بيان هوية المصدر بشكل كامل ومفصل؛ ليسهل على القارئ مراجعة المصادر والتوسع في المطالعة.

ونضع بين أيديكم هنا الحلقة الخامسة من هذه السلسلة، على أمل أن يكون هذا الجهد منارة في طريق إشاعة ثقافة المقاومة ضد أي شكل من أشكال الظلم والعدوان، وخطوة في طريق إحياء تراث الشيخ الآصفي ﷺ الثمين والقيّم.

مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي ﷺ

التحدي والتحدي الآخر

١. ميلاد التحدي

لقد اقترنت ولادة هذا الدين منذ أول يوم بموجة من التحديات المتبادلة بين أنصاره وخصومه.

وكانت هذه الموجة في الأيام الأولى محدودة في منطقة ظهور هذا الدين في الجزيرة العربية.. ولكن لم يمض على ظهور الإسلام في الجزيرة العربية خمسون عاماً حتى اتسعت دائرة هذه التحديات، وتجاوزت الجزيرة إلى الساحة المعمورة من الأرض، وشملت كل الحضارات والكيانات السياسية والحضارية القائمة يومئذٍ على وجه الأرض.

ثم امتدت هذه التحديات - على امتداد العصور - عصراً بعد عصر على مساحة الأرض كلها بين أنصاره وخصومه.

ولست أدري ماذا في هذا الدين حتى يثير كل هذه الأمواج العارمة من التحدي على امتداد التاريخ كله، وعلى امتداد كل الجغرافيا السياسية والحضارية على وجه الأرض؟!

٢. التحدي الكبير

كانت كلمة (لا إله إلاّ الله) هي التحدي الكبير الذي رفعه هذا الدين في أوساط الجاهلية.

فقد تضمنت هذه الكلمة بشطريها أوسع تغيير وهدم وبناء في حياة الإنسان السياسية والثقافية.

تضمّن الشطر الأول من هذه الكلمة إلغاء كل سيادة وحاكمية على وجه الأرض في (التشريع، والتنفيذ، والقضاء).

وتضمن الشطر الثاني من هذه الكلمة حصر الحاكمية والسيادة والسلطة في حياة الإنسان في الله تعالى ومن أَذِن له الله بالولاية والسيادة في حياة الإنسان، في كل المساحات الثلاثة (التشريع، والتنفيذ، والقضاء).

وقد أدرك أقطاب الجاهلية - من اليوم الأول - هذا العمق العجيب، والتغيير الهائل الذي تحمله هذه الكلمة في حياة الناس، إنها تتضمن عملية هدم وتخريب واسعة لكل الحاكمية والسيادة القائمة على وجه الأرض، من دون الله، ولكل الحضارات والثقافات القائمة على وجه الأرض، من دون الثقافة والحضارة النابعتين من مصادر الوحي.

وتتضمن في الشطر الثاني تشييد كيان جديد قديم في حياة الإنسان في السيادة والحكم والتشريع والثقافة والحضارة، تعتمد التوحيد المطلق لله تعالى في كل سلطان وسيادة وحكم وتشريع وتثقيف.

٣. التحدي الآخر

لقد أدرك أئمة الجاهلية يومئذٍ هذا العمق العجيب لهذه الكلمة، فلم يترددوا في إعلان الحرب بوجه هذا الدين ومواجهته ومقارعته بكل الوسائل

التحدي والتحدي الآخر

والتحديات الممكنة لهم آنذاك.

وقد سمع أعرابي رسول الله ﷺ يقرأ القرآن في أيام البأساء والضراء، في مكة وهو يدعو الناس إلى الإسلام، فقال: (إن هذا دين يغيظ الملوك ويغضبهم).

ولقد أدرك الأعرابي بفطرته طبيعة الصراع والتحدي المتبادل بين هذا الدين والملوك والحكام في الأرض.

ولما عمّ الإسلام الجزيرة العربية والمساحة المعمورة من الأرض، وبسط سلطانه، برغم كل هذه التحديات على الجزيرة العربية، وعلى الساحة المعمورة من الأرض، وأرغم كل العناصر الذين حاربوا هذا الدين على الدخول في حوزته وإعلان المبايعة لسلطانه.. لم يتخلّ أولئك الذين حاربوا هذا الدين يومئذٍ عن عدوانهم وتحديهم ومكرهم بهذا الدين، وإنما تحول هذا المكر والتحدي والحرب إلى حالة جديدة في وسط المجتمع المسلم، وهي حالة النفاق.

وحالة النفاق امتداد لحالة الكفر، والتحدي الذي يحمله المنافقون لهذا الدين لا يختلف في شراسته وضراوته عن التحدي الذي يحمله الكفر، إلا في أسلوب التحدي والمواجهة وليس في جوهره وأُصوله.

وهكذا اقترنت ولادة هذا الدين بظهور موجة واسعة من التحديات المتقابلة بين أنصاره وخصومه، واتسعت دائرة هذه الموجة العارمة من التحدي الميداني الحضاري حتى شملت الساحة المعمورة من الأرض في آسيا وأفريقيا، ثم تواصلت حلقات هذا التحدي عصراً بعد عصر، وجيلاً بعد جيل إلى هذا العصر، يتوارث الأجيال من المعسكرَين المتصارعين (الإسلام والجاهلية) مزاولة هذا التحدي واستقباله على امتداد التاريخ.

٤. المقارنة بين التحديين

وشتان بين التحديين.. والفارق بينهما هو الفارق بين الحق والباطل، فكل منهما يتحدى الآخر: الحق يتحدى الباطل، والباطل يتحدى الحق، وشتان بينهما؛ إن الحق يتحدى الباطل بحول الله وقوته، أما الباطل فيتحدى الحق بحول الإنسان وضعفه وعجزه وجهله، وشتان بين هذا وذاك ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[١].

﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢].

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٣].

إن التحدي الأول، يتحرك على وجه الأرض تحت النور من خلال سنن الله تعالى، وبحول الله وقوته، وطبقاً للضوابط الشرعية والقيم الأخلاقية.

والتحدي الآخر، يتحرك في الظلمات، في ظلمات النفس والمجتمع، من دون ضوابط ولا قيم، والعاقبة في هذا الصراع للمتقين والصالحين.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٥].

لكنّ كلاً من هذين التحديين يخلّف معاناة للطرف الآخر بطبيعة الحال، ويشترك كِلا المعسكرين في هذه المعاناة من غير فرق.

---

١. الطارق: ١٥ - ١٧.

٢. النمل: ٥٠.

٣. الأنفال: ٣٠.

٤. الأعراف: ١٢٨.

٥. الأنبياء: ١٠٥.

ولا تخصّ هذه المعاناة معسكر المؤمنين ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[1].

٥. التحديات الإسلامية الكبيرة المعاصرة

حفل الشطر الأخير من القرن العشرين بتحديات إسلامية وسط دهشة الناس وحيرتهم في الغرب.

فقد شهد الشطر الأخير من هذا القرن قفزات نوعية كبيرة للوعي والصحوة الإسلامية، وشهد انتشار الحركات الإسلامية وتوسعها في آسيا، في أكثر الأقاليم، وفي أفريقيا في الشمال والغرب، وفي أوروبا وأمريكا.

ودخل الإسلام في الساحة السياسية العالمية على هيأة قوة كونية جديدة، وتألّق في الساحة الثقافية العالمية، وظهر لهذا الدين دولة وحاكمية في إيران، واكتسب الإسلام جمهور الناخبين في الانتخابات البرلمانية في الجزائر، وكذلك في تركيا، وسجل حضوراً قوياً في السودان.

وسجل الإسلام الضربة القوية الأولى من نوعها على كيان العدوان العسكري الإسرائيلي في جنوب لبنان على يد شباب حزب الله، وسجل الانتصار لأول مرة في تاريخ الانتفاضات والثورات للحجارة على الأسلحة الفتاكة والمدمرة التي يحارب بها الإسرائيليون أبناء فلسطين، فعرفت في التاريخ بـ (ثورة الحجارة)[2]، كما عرفت الثورة الإسلامية في إيران بـ (ثورة المساجد).

وسَجل اندحاراً واسعاً للعدوان السوفييتي على أراضي أفغانستان، فتراجع السوفييت بكل إمكاناتهم العسكرية المتطورة أمام زحف تيار الأفغان الحفاة

---

١. النساء: ١٠٤.

٢. أو (انتفاضة الحجارة). (من المحقق)

بأسلحتهم البدائية، واتسعت رقعة الوعي والصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وخارجه على نحو سواء. وظهرت هذه الصحوة على شكل حركات إسلامية نامية، وانتفاضات، ونشاطات وأعمال ومؤسسات كثيرة وكبيرة في العالم الإسلامي.

وظهرت دعوات كثيرة هنا وهناك للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وإبطال الإثارات والفتن المذهبية بين المسلمين، والدعوة إلى التفاهم والتعاون وتوحيد الموقف السياسي، وأخذت الثقافة الإسلامية تتألّق في الأوساط الثقافية وتفرض نفسها بقوة وكفاءة.

وبدأ الإسلام يزحف إلى الغرب زحفاً يثير الغربيين وبقوة لا يقاومها الغرب، عندما بدأت الكنيسة الكاثوليكية بالانحسار والتراجع أمام موجة العلمنة في الغرب.

ويطول بنا الأمر إذا أردنا أن نحصي مفردات التحدي الثقافي والسياسي الإسلامي في الشطر الأخير من القرن العشرين، والشطر الأول من القرن الواحد والعشرين.

وكان المكسب الأخير للإسلام في هذا المضمار سقوط دولة الإرهاب والإفساد في العراق.

ولا نريد إحصاء المكاسب والتحديات السياسية والثقافية للإسلام خلال هذه الفترة، ولا تدخل في صلب حديثنا، وإنما أردنا أن نمهد بها للدخول في موضوع بحثنا، وهو (التحديات المعاصرة الكبرى التي واجهت الأمة).

٦. التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا

وشاء الله تعالى أن لا يهنأ المسلمون بهذه المكاسب والتحديات التي واجهوا بها دول الاستكبار العالمي في الغرب، في أوروبا وأمريكا، من دون مواجهة ومقابلة تُذْكر.

وصدق الله العلي العظيم؛ حيث يدعو رسوله ﷺ إلى أن ينصب نفسه لمرحلة جديدة من العمل والحركة والمواجهة كلما انتهى من مرحلة سابقة.. يقول تعالى لرسوله ﷺ في أوائل ما نزل عليه من الوحي: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾[1]، حتى لا يصيبهم استرخاء النصر والنجاح ونشوتهما.

لقد واجه المسلمون في هذه الفترة، بعد تلك الجولة العالمية والواسعة من التحديات الكبيرة والنصر والنجاح للإسلام والمسلمين، ثلاثة تحديات كبيرة يحتاج المسلمون إلى الكثير من المقاومة والصبر والعمل لإحباطها وإبطالها؛ وهي (الاحتلال) و(الإرهاب) و(العولمة).

وهذه التحديات الثلاثة غير مفصولة عن التحديات التي كان يمارسها الاستكبار العالمي في مواجهة الإسلام والمسلمين من قبل، لكنها تمثل حالة متطورة ومتقدمة من التحدي والمواجهة في عصرنا.

٧. الدّوران المتعاكسان للتحدي

للتحدي دوران متقابلان متعاكسان في حياة الأمم والأفراد.

الدور الإيجابي للتحدي

فقد يؤديّ التحدي في حياة الإنسان إلى اليقظة والمقاومة والمناعة.. وهي حالة قائمة في التاريخ؛ لأن التحدي يتضمن الإثارة دائماً، والإثارة تفجّر كوامن القوة واليقظة والمقاومة في حياة الأمم، والتحدي يلجئ الإنسان إلى الله تعالى، ولا يلجأ الإنسان إلى الله في حالة أقوى وأفضل من حالة الابتلاء.. وإنما يبتليهم الله تعالى لعلهم يضّرّعون.

---

١. الانشراح: ٧.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[1].

وهذا هو الدور الإيجابي للتحدي.

الدور السلبي للتحدي

وقد يكون دور التحدي سلبياً، فيستسلم الناس للتحدي، بدل المقاومة، ويخدّرهم التحدي بدل اليقظة. وهذا الدور وذاك من آثار التحدّي، والتحدّي يمكن أن يؤدي إلى كل منهما.

وعليه؛ فلابد من توجيه دائم للناس في ظروف التحدّي، لتكون ردة الفعل في التحدي هي المقاومة واليقظة، وليس الاستجابة والخدر.

من الممكن أن تؤدي التحديات التي نستقبلها من ناحية الغرب، ومن داخل مجتمعنا إلى هزيمة نفسية واستسلام تجاه التحديات، وقبول الأمر الواقع، وتبرير علمي لهذا الاستسلام، وانقياد وتسليم ثقافي وسياسي للغرب، وتبعية واتكالية اقتصادية.. وهذا هو الدور السلبي لهذه التحديات في حياة الأمة.

ويمكن أن تؤدي بالعكس إلى عزم وإرادة جمعية للأمة كلها للصمود والمقاومة تجاه هذه التحديات، والتخطيط للتحرّر منها، ومقابلة التهديدات بجرأة وشجاعة، والتخلص من حالة التبعية السياسية والثقافية، والتحرّر من الاتكالية في الحالة الاقتصادية، حتى لو اقتضى الأمر أن نأكل من أعشاب الأرض لنتمكن من أن نقوم على أقدامنا، معتمدين على الله تعالى في تجاوز المحْنَة والتهديدات والتحديات.

كل ذلك ممكن، وحدث كلٌّ من هذين الوجهين في تاريخنا المعاصر تجاه السيطرة الغربية على العالم الإسلامي.

---

١. الأنعام: ٤٢.

التحدي والتحدي الآخر

وعلينا أن نعمل لتوجيه الحالة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للأمة باتجاه المقاومة، ونحذر من الاتجاه الاستسلامي والمطاوع للمشروع الغربي.

إن التحديات والابتلاءات والفتن من السنن الإلهية الحتمية غير المشروطة في حياة الناس، ولابد أن تقع وتتحقق، ولا يستطيع أحد أن يحول بينها وبين الناس.

يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوٓا اَنْ يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

إنها سُنّة إلهية حتمية، غير مشروطة، ولا تفلت منها أمة كائنة ما كانت.. والذي يريده الله تعالى من الناس في هذه الفتن أن يعلم ـ وهو العليم ـ كيف يواجه الناس هذه التحديات، صادقين أم كاذبين.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2].

والصدق هنا في التعامل مع الفتن والتحديات أن تعرف الأمة الفتنة بوجهها الصحيح، وتصدق في التعريف بالفتنة، فتواجهها بالمقاومة والصمود. والكذب في التعامل مع الفتن أن لا تكون الأمة صادقة مع نفسها ومع الله في التعريف بالفتنة، وتوجّهها بغير وجهها، وتستقبلها كما تستقبل أية حالة صحية، كما وجدنا ذلك عند أناس من هذه الأمة استقبلوا الغزو الحضاري بالقبول والاستسلام، وفسرّوها بأنها حالة من التطور الثقافي والفكري.. أولئك الكاذبون الذين يفسرون الفتنة بغير وجهها، ثم ينقادون لها ويتطبعون بها.

إن واجب العلماء والمثقفين الإسلاميين توجيه الأمة في طريق التعامل مع الفتن.

---

١. العنكبوت: ١ - ٣.

٢. العنكبوت: ٣.

التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا

هذه التحديات ليست مبتورة من التحديات السابقة عليها، وهي موصولة - لا محالة - بتحديات قادمة على هذه الأمة.

وهذه التحديات؛ منها فتن الضراء، ومنها فتن السراء، وهي لا تختلف في واقعها، إن كانت من فتن الضراء أو كانت من فتن السراء، فإنها على كل حال فتنة وتحدٍ، لابد من مقابلتها، ويجب الحذر من الدخول في حوزتها.

ولعل فتن السراء أخطر على هذه الأمة من فتن الضراء.

ومن هذه التحديات، تحديات يُصدّرها لنا الغرب كالاحتلال والعولمة، ومنها تحديات وفتن نابعة من داخل مجتمعنا كالإرهاب والتطرف الديني والبدع التي تهجم على هذه الأمة بين حين وآخر.

ولعل سائلاً يسأل عن تعريف التحدي بـ (الفتنة)؟! فأقول إننا نقصد بالتحديات الأمور والحالات التي تقهر الأمة وتغالبها على الخروج عن صراط الله المستقيم، وهذه هي فتن الضراء والسراء بالذات في مفاهيمنا الثقافية.

وليست هذه الثلاثة هي كل الفتن.. فإن تحديات العصر أوسع من ذلك، وإنما هي من أبرز التحديات التي نستقبلها في عصرنا.

وفيما يلي نتحدث عن هذه التحديات الثلاثة، ونعقبها بعد ذلك بالحديث عن (المشروع الإسلامي) في مواجهة هذه التحديات.

التحدي الأول: الاحتلال

لقد تجاوز العالم الإسلامي عصر الغزو العسكري المباشر، بعد مصيبة ومعاناة طويلة لهذه الأمة مع الغزو العسكري الكافر، وعانت منه هذه الأمة طويلاً وكافحته بعناء وعذاب، فغيّر المحتل الكافر منهجه، وتطورت أساليب الاستعمار لـدول الاستكبار العالمي في المنطقة الإسلامية من الاحـتلال العسكري المشهود إلى الاحتلال اللا مرئي من خلال السيطرة على مفاصل القرار السياسي والاقتصادي والعسكري في هذه البلاد، ومن خلال الأنظمة الحاكمة التي كانت تقوم بتنفيذ سياسات دول الاستكبار العالمي الغربية والشرقية؛ من خلال آليات سياسية واقتصادية معقدة تؤدي إلى هذه النتيجة، بعلم وإرادة من هذه الأنظمة.

ولم تبق في العالم الإسلامي منطقة خاضعة للغزو العسكري المباشر غير المناطق المحتلة عسكرياً من قبل إسرائيل من الأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية، التي لا تزال خاضعة للغزو الصهيوني المباشر.

غير أن سقوط الاتحاد السوفييتي غيّر أسلوب تعامل الولايات المتحدة مع المنطقة الإسلامية بصورة كاملة. فقد كان سقوط الاتحاد السوفييتي في نهاية القرن الميلادي السابق أحد وجهي القضية، والوجه الآخر لها هو ظهور النظام الوحداني الأمريكي مقابل النظام التعددي ذي القطبين في القرن الذي مضى.

وهذا النظام لم يتم إقراره من قبل أي مؤسسة دولية، أو نظام من أنظمة العالم، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية اعتبرت هذه النقطة من الأُسس الثابتة الاستراتيجية في تعاملها مع العالم.

والتأثير المباشر والواضح الذي تركه هذا التحول العالمي إلى النظام

الوحداني هو في طريقة تعامل الولايات المتحدة مع الدول والأنظمة التي كانت تدخل سابقاً في دائرة العالم الثالث.

لقد كان النظامان الاستكباريان يتباريان في كسب صداقة وعمالة هذه الأنظمة من قبل.. وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي وخلو الساحة العالمية من قوة أخرى منافسة للولايات المتحدة الأمريكية، تحولت الولايات المتحدة من سياسة كسب الأصدقاء والعملاء في العالم إلى سياسة جديدة تماماً، تتلخص في ممارسة النفوذ والقيمومة على هذا الشطر من العالم.. وإذا واجهت مقاومة من ناحية الشعوب والأنظمة، فإنها تلجأ إلى التهديد باستعمال القوة، أو استخدام نفوذها الواسع على الأمم المتحدة ومجلس الأمن لممارسة الضغط على هذه الدول، بهدف إجبارها على المطاوعة.

وكان من مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة استخدام العصا الغليظة والتهديد في تنفيذ سياستها في المنطقة.

ومن الشواهد على ذلك، إسقاط الطائرة المدنية الإيرانية في مياه الخليج؛ لإجبار إيران على إنهاء الحرب بشروط مجلس الأمن الظالمة، وضرب معامل صناعة الكيمياويات في السودان، وضرب ليبيا، وهلّم جرّا..

وكان من مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة، استخدام مجلس الأمن لتنفيذ سياساتها في المنطقة، وبلغ من قوة تأثير النفوذ الأمريكي على مجلس الأمن أن قرارات مجلس الأمن كانت تُعدّ قبل أن تطرح في مجلس الأمن في مواقع القرار الأمريكي.. فكانت أمريكا تهدد بمجلس الأمن كلما احتاجت إلى ذلك، وتستحصل ما تحتاجه من القرارات الدولية من مجلس الأمن كما لو كان قراراً أمريكياً.

ومن جهة أخرى؛ تلغي ما لا ينسجم مع سياساتها العامة والخاصة في

المنطقة من قرارات مجلس الأمن، كما ألغت طائفة من القرارات التي تدين إسرائيل في عدوانها المتكرر على العالم الإسلامي.

وما لم تستطع أن تلغيه أمريكا كانت إسرائيل تعطّله عملياً بضمانات وحماية أمريكية.

ولم تعد لقرارات مجلس الأمن استقلالية عن القرار الأمريكي.. وأصبح الانضمام إلى المؤسسة الدولية (العولمة السياسية) بمعنى الدخول في دائرة نفوذ القرار الأمريكي.

ومن مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة، الانفراد بالوضع الدولي في المنطقة الإسلامية، وممارسة القيمومة السياسية على العالم الإسلامي، عبر المحيطات.

وآخر ما شاهدنا من هذه الممارسة للقيمومة السياسية على بلادنا، إجبار سورية على إخراج قواتها العسكرية من لبنان، واضطرار سورية لقبول الضغوط الأمريكية بهذا الشأن، المترافقة مع النصيحة التي أسداها حكام العرب للقيادة السورية بالإسراع في تنفيذ المطالب الأمريكية بخصوص إخراج قواتها من الأراضي اللبنانية، قبل أن تنفذ أمريكا تهديداتها في سوريّة، رغم وجود القوات الإسرائيلية على الأراضي السورية في الجولان السوري، وعلى مزارع شبعا، رغم كل قرارات مجلس الأمن.

إن الولايات المتحدة تمارس هذه القيمومة على العالم الإسلامي من موقع الاستعلاء والاستكبار السياسي، ولا يجد حكام العرب سبيلاً لرفض القرارات الأمريكية أو التوقف في قبولها.

وأمريكا لا تزال إلى هذه الساعة لم تعلن رضاها عن القيادة السورية، رغم الانسحاب السوري المعلن من لبنان.

وقد مارست أمريكا ضغطاً عالياً على نظام عربي لقبول الإدانة في حادث سقوط الطائرة الأمريكية في سماء أوربا، وتسديد قيمة دية قتلاها بالمليارات من الدولار وليس بالملايين، ووافق هذا النظام أخيراً على تسديد هذه المليارات (لا أذكر الرقم الدقيق) من بيت مال المسلمين لأمريكا ثمناً لكسب رضاها ووّدها، وجياع المسلمين في الهند وبنـغلادش وأفغانستان وغيرها بحاجة إلى كل دولار من هذه المليارات التي بذلها هذا الحاكم العربي ثمناً لسكوت أمريكا وكسب ودّها.

وليس هناك من يحاسب هذا الحاكم أو ذاك عن هذه المليارات التي ينفقونها لأمريكا بسخاء.

ولست أعرف ما يكون جوابهم عند الله؟ ولست أعرف إن كانوا يعرفون الله أم لا؟ وإنّ امرأ يعرف الله لا يبذّر في أموال المسلمين بهذه الطريقة.

ومن مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد (الاحتلال العسكري) للعالم الإسلامي.. والإحتلال العسكري يعني العودة إلى الحالات البدائية الأولى بعد الحرب العالمية الأولى للغزو العسكري، وهي حالة عسكرية ـ سياسية تجاوزها الزمن، في علاقة الدول الكبرى بالدول الضعيفة، تستعيدها أمريكا اليوم من جديد.

ولست أدري كيف تحاول أمريكا أن تنظم علاقاتها بالعالم الإسلامي بهذه العقلية التي تجاوزها الزمن منذ عهد طويل.

ومن أبرز المشاهد السياسية العسكرية لهذه الحالة: الغزو العسكري الأمريكي لأفغانستان والعراق، والحبل على الجرّار. وأمريكا غير عابئة بالاستنكار الواسع الذي أشهره الرأي العام العالمي لهذا الغزو العسكري لكل من العراق وأفغانستان، فقد واجه الضمير العالمي هذه الحالة الأخيرة باستنكار شامل

وواسع في مسيرات بشرية حاشدة في مختلف البلدان، حتى في أمريكا نفسها.. فقد أدرك الرأي العام العالمي أن الولايات المتحدة تدفع العالم إلى حافة حرب كونية ثالثة.

وتتجاوز أمريكا المؤسسة الدولية إذا تباطأت عن الاستجابة لمطالبها، وتتصرف في الشأن الدولي، كما تتصرف في شؤونها الداخلية من موقع القيمومة والولاية، من دون انتظار لقرار مجلس الأمن.

وإذا كانت (العولمة) هي آخر مراحل الاستعمار، فإن (الاحتلال) هو عودة إلى الأساليب القديمة للتعامل بين دول الاستكبار العالمي والدول الصغيرة والضعيفة.

أنا لم أعش في أفغانستان، ولكنني عشت في العراق في ظل الاحتلال، ووجدت كيف يضرب الجندي الأمريكي بهراوته عضو الجمعية الوطنية، ويرديه أرضاً، ولا أحد يجرؤ أن يتدخل في إنقاذه من تحت أقدامه.

ووجدت كيف ينزل السائق العراقي إلى الحافة الترابية من الجادّة، ويتوقف عن السير، عندما تتقدم الارتال الأمريكية في الجادّة، وكيف يداهم الأمريكان بيوت الناس، ويعتقلون الناس من داخل بيوتهم، ويلقونهم في السجون، ولا يحق لأحد أن يسأل عن مصيرهم، وكيف يسحبون الرجال من بيوتهم بمرأى ومسمع من النساء والأطفال..

وقد أدى الصراع بين المؤسسة الاستخباراتية الأمريكية ووزارة الدفاع إلى انكشاف طرف بسيط فقط من تعامل الأمريكان مع العراقيين في سجن «أبو غريب».

إن هذه المشاهد التي يشاهدها العراقيون كل يوم، وشاهَد العالم طرفاً منها على شاشات التلفزيون، تُشعر الإنسان المسلم عراقياً كان أم غير عراقي بالهوان.

وأخطر ما في هذه المشاهد أن ينطبع الجمهور بهذه المشاهد بالتدريج، فيفقد الإحساس بالهوان، ويفقد معه حالة الرفض والمقاومة.

والذي يجري في أفغانستان كالذي يجري في العراق، إن لم يكن أسوأ منه.

إن الاحتلال العسكري أصبح حالة منسوخة عالمياً بعد الحرب العالمية الثانية بالتدريج، إلا أن قيام النظام العالمي الوحداني، القائم على القطب الواحد، أعاد حالة الاحتلال العسكري مرة ثانية إلى العلاقات الدولية في العالم.

إنّ الإعلام السياسي الأمريكي يعلن أن رحيل القوات العسكرية الأمريكية والمتعددة الجنسية يتوقف على قدرة وكفاءة القوات الأمنية العراقية على ضبط الأمن.

إلا أن هذه المعادلة الإعلامية معادلة وهميّة، الغاية منها إخفاء الأهداف والأطماع الأمريكية في العراق.

والمعادلة الحقيقية التي يخفيها الأمريكان من وراء هذه المعادلة الإعلامية الوهمية، هي أن القوات الأمريكية والمتعددة الجنسية تبقى في العراق على مرأى ومشهد من الناس؛ حتى يتم للأمريكان إحكام القبضة السياسية والاقتصادية على مواقع النفوذ السياسي والاقتصادي في العراق.

فإذا تم لهم ذلك، وتمكّنوا من المفاصل السياسية والإدارية والاقتصادية في العراق، فلا حاجة عندئذ إلى إبقاء القوات المسلحة الأمريكية والمتعددة بمرأى ومسمع من الناس، في الشوارع وداخل المدن، وفي الطرق الخارجية ما بين المدن.

فإن الأمريكان يفهمون جيداً أن مشهد حضور القوات المسلحة في الشوارع والطرق الخارجية يستفِزّ الناس ويثيرهم، وليس من سبب عقلاني لاستفزاز

الناس إذا أمكن استبدال هذا الحضور العسكري بحضور أقوى منه في المفاصل السياسية والاقتصادية والإدارية في البلد.

إن المهم عند الأمريكان هو السيطرة السياسية والاقتصادية، وهذه السيطرة يمكن تحقيقها بطريقة ذكية لا تثير الناس ولا تستفزهم.

إن بإمكاننا أن نفهم الأمريكان، أن نقرأ العقل الأمريكي المحتل لنعرف كيف يفكر الأمريكان؟ وما هي المعادلات السياسية التجارية التي تستحوذ على العقل الأمريكي في احتلال العراق؟

فقد كلف احتلال العراق الأمريكان كثيراً من المال والدم، ولا يمكن أن تقدّم أمريكا كل هذه الأموال والدماء من غير حسابات دقيقة، من نوع الحسابات التجارية، للأرباح المادية الكبيرة التي تجنيها أمريكا من وراء هذه الخسائر.

إن العقل الأمريكي عقل رياضي من نوع الحسابات التجارية، يقيس كل شيء بالأرقام الرياضية؛ حتى الدم يحاسب بحسابات الدم المدفوعة إلى ورثة القتيل، والراتب الشهري الذي يقدم إلى عائلته من بعده.

وهذا التعويض المادي الذي تقدمه الدولة من الدم الأمريكي في العراق تعوضه الثروات الطائلة التي تجنيها أمريكا من العراق.

وهذه المعادلة هي التي استنكرها الأمريكيون أنفسهم في تظاهرات صاخبة في شوارع واشنطن ونيويورك قبل احتلال العراق، وعارضوا معادلة دماء أبنائهم بالنفط الذي يضخه ملوك النفط في أمريكا.

نحن لا نرفض الحسابات والمعادلات التجارية ولا نرفض الرياضيات، ولكننا نعتقد أنه لا يجوز قياس كل شيء بالأرقام. إن لغة الأرقام لغة مفهومة إذا دخلت السوق، ولكنها لغة غريبة غير مفهومة في عالم القيم والأخلاق والعلاقة مع الله

والعلاقات الإنسانية.

وخطأ الحضارة المادية المعاصرة أنها تقيس كل شيء بالأرقام والأعداد.

ومهما يكن من أمر؛ فإننا نستطيع أن نقرأ العقل الأمريكي، ونفهم طريقة تفكيره.

وهذا هو الفرق بين عقل الاحتلال وعقل الإرهاب والتطرف.. إن من الصعب جداً قراءة عقل الإرهاب وطريقة تفكيره وفهمه للمسائل الاجتماعية ومسائل الدين والدنيا.

فليس بوسع أي تحليل علمي أن يفهم كيف يفكر الانتحاري الذي يفجّر نفسه ليقتل جمعاً من الأطفال في عمر الورود، وهو يعلم ذلك، ويقدِم عليه عن علم وعمد.. إن هذه العقلية غير خاضعة لأي تحليل ومنطق، ولا يمكن فهمها ضمن أي إطار..!

أقول: إن قراءة أولية لعقل الاحتلال توصلنا إلى نتيجة قطعية، وهي أن الاحتلال لا ينوي أن يخرج من العراق.. ولا يزال يفكر كيف يثبّت أقدامه فيه أكثر من ذي قبل، ويضمن مصالحه بطرق أمينة تحقق له أكثر ربح ممكن بأقل خسارة مادية، ولا يزال يفكر كيف يبسط نفوذه السياسي والاقتصادي والثقافي في هذا البلد.

والنفوذ السياسي في عصرنا شيء أوسع من القوة العسكرية، إنه يشمل النفوذ الثقافي والسياسي والاقتصادي والإعلامي والعسكري.. وهو معنى الهيمنة الاستكبارية. وهذه الهيمنة تشيع بالضرورة الفساد والإفساد. ولقد أدركت ملكة سبأ هذه الحقيقة بشكل جيد، عندما قالت لبطانتها: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً

أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[1].

إذًا؛ فإن مصيبتنا مع الاحتلال مصيبة طويلة، لا تنتهي في وقت قريب.. ومن السذاجة أن نصدّق بما يقوله الأمريكان؛ حتى عندما يتغير شكل الحضور والاحتلال الأمريكي من الاحتلال المرئي والمثير إلى الاحتلال غير المرئي.

ولا بدّ أن نعمل من الآن لإشاعة ثقافة المقاومة، والتحضير الثقافي، والإعداد والتخطيط الميداني للمقاومة، وهو لا شك عمل شاقّ وطويل وعسير.

ولقد كان وجود البعثيين في مواقع الحكم في العراق مصدراً لكثير من المآسي للعراق والعراقيين.. ومن أعظم هذه المآسي أنهم حضّروا وفتحوا الطريق لدخول الأمريكان إلى هذا البلد بكل عدتهم العسكرية والسياسية والإعلامية والمالية.

ومقاومة الاحتلال تحتاج إلى جهد إسلامي وطني شامل، ينهض به كل مسلم في العراق شيعي وسني ومن منطلق التكليف الشرعي.

وتحتاج إلى استنهاض المسلمين في العالم الإسلامي لدعم وإسناد حالة المقاومة ورفض الاحتلال في العراق.

التحدي الثاني: الإرهاب و التطرف الديني

الإرهاب شبكة عالمية تمويلاً وتنظيماً وحركةً، وهذه الشبكة الحركية الواسعة تكشف عن وجود حالة واسعة من التعاطف والإسناد والتمويل لها.

ولهذه الحركة خطاب سياسي قوي، وهو من الخطابات السياسية المعاصرة التي يحسب لها حساب خاص في موازين الخطابات السياسية المعاصرة، كما

---

١. النمل: ٣٤.

يحسب لها حساب خاص ـ دولياً ـ في ميزان القوى. وهذه نقاط إيجابية.

وأما النقاط السلبية: فهي حركة غير مرئية، تتحرك تحت الأرض، بعيداً عن الرقابة العامة والنصح والنقد، ولذلك فهي معرضة دائماً لاختراقات أمنية وسياسية كثيرة، كما هي معرضة لتحريفات فكرية إسلامية ثقافياً وسياسياً، كما هي معرضة لتوجّهات سياسية انفعالية وغير موضوعية.

ونحن نطمئن إلى النقطة الثانية[1]، ولا نستبعد النقطة الأولى[2].

والدليل على ما نقول، الحالة التكفيرية الغالبة على هذه الحركة، ورفض الغير، وعدم الاعتراف بالآخرين، والحلول الانفعالية للمشاكل السياسية للعالم الإسلامي، واندفاعها نحو الإرهاب غير المشروع، وإنما أقول: (الارهاب غير المشروع)؛ لأن في الإرهاب حالة مشروعة، يشير إليها تعالى في قوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3]، وفي الإرهاب حالة غير مشروعة، كالتي يمارسها هؤلاء في العراق وباكستان وأفغانستان في قتل الأبرياء وإثارة الفتن الطائفية.

ففي العراق مثلاً، تجري حوادث كثيرة، لا تحصى من القتل والتخريب والذبح، وبشكل خاص في الأوساط الشيعية، وفي مناسبات أهل البيت عليهم السلام من دون أي مجوز شرعي، من اجتهاد أو رأي من أراء فقهاء المسلمين، ويتم كل ذلك تحت عنوان تكفير المسلمين واستباحة دمائهم.

ولا تنفي الحركة مسؤوليتها عن هذه الأعمال.. بل تتبناها وتدافع عنها.

ويجري مثل ذلك في أفغانستان وباكستان من قتل المسلمين الشيعة، وتخريب مساجدهم تحت عنوان التكفير، وهو عمل عشوائي انفعالي، لا يقوم

١. أي أنها تحمل أفكارا إسلامية وسياسية منحرفة. (من المحقق)

٢. أي أنها مخترقة أمنيا وسياسيا. (من المحقق)

٣. الأنفال: ٦٠.

على أساس علمي أو موضوعي، في أي مذهب أو رأي أو اجتهاد في مذاهب الفقه الإسلامي.

وهذا عمل يهدد بإشعال الفتنة الطائفية بين المسلمين، التي لا تُبقى ولا تذر على شيء، ويُعرّض للخطر كل الجهود التي يبذلها العلماء المصلحون من الفريقين لجمع الشمل، وإعادة الوئام والانسجام والتفاهم والتعاون إلى الصف الإسلامي.

وهذه حالة ثقافية خطيرة، وفهم محرّف للإسلام، وإلغاء للنصوص الإسلامية الصحيحة والصريحة التي تحكم بعصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وتمنع من رميهم بالكفر ونفي صفة الإسلام عنهم. هذا عن النقطة الثانية.

ولا نستبعد النقطة الأولى، ولا ننفي أن تكون هذه الحركة السياسية مخترقة من قبل الأجهزة الأمنية للدول الكبرى[1].

فإن الفتن الطائفية التي تثيرها هذه الجماعة فيما بين المسلمين في العراق وأفغانستان وباكستان وسائر البلاد، يخدم أهداف أعداء الإسلام بالتأكيد، ولا يرضيهم ولا يسرّهم شيء كما يسرهم أن تشتعل نار الفتنة داخل الساحة الإسلامية.

ونحن نلمس في العراق أن القوات المتعددة الجنسية تفرّق بين نوعين من الإرهاب بشكل واضح؛ الإرهاب الذي يمسّهم والإرهاب الذي يمسّ الناس، فيواجهون النوع الأول من الإرهاب بقوة وعنف، ويتغاضون عن النوع الثاني.

ولا ننس أن نقول إن هذه الحركة تقدّم اليوم صورة مشوّهة عن الإسلام،

---

١. بل أثبتت الأيام والوثائق والتصريحات أن هذه المجموعات الإرهابية هي صناعة وتربية هذه الدول لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وأعوانها في المنطقة وباعترافهم هم أنفسهم. ولو راجعنا تاريخ الحركات الإسلامية المتطرفة والإرهابية في العالم لوجدنا أنها جميعا إما صناعتهم أو مدعومة من قبلهم. (من المحقق)

وليس الإسلام هو ما تعكسه هذه الحركة، من خلال أعمال العنف والإرهاب في العالم، ولا ننفي نحن عن الإسلام استخدام القوة لإزالة الفتن وتقرير التوحيد والعدل على وجه الأرض: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[1]، إلا أن الممارسات الإرهابية التي تمارسها هذه الفئة، تختلف اختلافاً واضحاً عن القوة التي يتبناها الإسلام ليحقّ الحق، ويبطل الباطل على وجه الأرض.

إن العقل الذي يقود الإرهاب في العالم يصلح للإعاقة والإتعاب والاستهلاك، ولا يصلح للحكم. فلا يمكن أن يحكم العالم اليوم عقل كالذي كان يحكم في أفغانستان، والذي يقوم بأعمال التخريب والقتل في العراق وأفغانستان وباكستان.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تقود اليوم حملة عالمية واسعة ضد الإرهاب، وترصد له المليارات من الدولارات؛ لأنّ الإرهاب مسّها في عقر دارها[2]، ولكننا

---

١. البقرة: ١٩٣.

٢. ويقصد الشيخ﵀ هنا أحداث هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١؛ حيث استُهدف برجا التجارة العالمية ومقر وزارة الدفاع الأمريكية بواسطة ثلاث طائرات مدنية، وادعت أمريكا أن منفذي هذه العملية هم جماعة تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، ومن حينها بدأت الولايات المتحدة الأمريكية مخططها العلني ضد الإسلام والدول الإسلامية تحت ما يسمى بـ (محاربة الإرهاب)، وجيّشت لذلك الجيوش، ووسائل الإعلام المحلية والعالمية، ورصدت ميزانيات وأموالا طائلة سرقتها من جيوب المسلمين والمستضعفين إما عاجلا أو آجلا.
وباعتقادنا لم يكن ذلك إلا تمثيلية قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتنفيذها بأيدٍ إسلامية متطرفة هي التي صنعتها ومولتها؛ لتكون هذه العملية ذريعة بيد أمريكا لتمكين سياسة (القطب الواحد) والإمعان في القتل والتخريب ونهب ثروات العالم والأمة الإسلامية، واحتلال البلاد الإسلامية إما بشكل مباشر أو غير مباشر، وما حصل في أفغانستان أوضح دليل؛ حيث احتلت أفغانستان تحت عنوان القضاء على تنظيم القاعدة، وقتلت وجوعت الأفغانيين ونهبت خيراتهم وثرواتهم، ثم خرجت منها بعد أن دمرتها ولم تعد تؤمن مصالحها دون أن تقضي على تنظيم القاعدة؛ بل قامت بتسليم الحكم والسلطة في أفغانستان إلى تنظيم القاعدة نفسه الذي ادعت أنها احتلت أفغانستان للقضاء عليه. إن أمريكا تلعب وتستخفّ

نعتقد أن أمريكا سوف تفشل في مكافحة الإرهاب في العالم.

وذلك أن السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية والأنظمة المرتبطة بها في العالم الإسلامي هي واحدة من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

إن سياسة الكيل بمكيالين تجاه العالم الإسلامي، والتدخل من موقع القيمومة والولاية في شؤون المسلمين، وممارسة التهديد والتدخل العسكري إذا اقتضى الأمر، من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

إن أمريكا تغض الطرف عن القوة النووية الهائلة لإسرائيل، والتي تقدر بـ ٣٠٠ رأس نووي، وتمارس ضغوطاً وتهديدات واسعة إعلامية وسياسية على إيران؛ لأنها تعمل للاستفادة من الطاقة النووية بدل النفط، للاحتفاظ بالثروة النفطية للأجيال القادمة.

هذه السياسة (الكيل بمكيالين مختلفين في المنطقة الإسلامية) لا تخفى على أحد، ولا تملك الولايات المتحدة أي توجيه معقول لهذه السياسة اللا

بعقول المسلمين التي عملت على تجهيلها خلال الحقبات السابقة هي وباقي الدول الاستعمارية إما من خلال الاحتلال المباشر أو من خلال زرع الحكام العملاء لها لتحكم البلاد الإسلامية بعد أن انتهت موضة الاحتلال المباشر. وإلا أي عاقل يصدّق أن أربع طائرات مدنية تابعة لشركتين أمريكيتين، تخرج من مطارات أمريكية، ويتم اختطافها في وضح النهار من قبل مجموعة إرهابية لا تمتلك إلا وسائل بدائية، دون أن يعرف جهاز أمن المطار أو الأجهزة الأمنية الأمريكية الأخرى المعروفة في العالم بقدراتها الاستخباراتية المتطورة، لتقوم ثلاث طائرات من أصل أربعة مختطفة بالنجاح في تحقيق أهدافها وتفشل الرابعة، ولم يكن فشل الرابعة بسبب تدخل القوات الأمنية أو الجيش الأمريكي، وإنما بسبب تدخل الركاب، مما أدى إلى انحرافها عن مسارها وسقوطها وتحطمها ومقتل من فيها؟!!! هناك تساؤلات وتحليلات وشواهد كثيرة أخرى لكن لا يتسع لها المجال هنا، ويكفي للإنسان - مهما كان بسيطا - أن يُعمل عقله ولو بشيء من الاطلاع والتحليل ليصل إلى هذه النتيجة ويعقل هذه المؤامرة الكبيرة التي حاكتها أمريكا وأعوانها ضد الإسلام والمسلمين والشعوب المستضعفة. (من المحقق)

منطقية التي تمارسها بالقوة والإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، وهي بالذات من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

أنا لست من دعاة بقاء الجيوش السورية في لبنان[1]، ولكن كلما أتصور

١. لقد دخلت القوات السورية إلى لبنان في عام (١٩٧٦)، ولم يكن دخولها إلى لبنان بقرار من الدولة السورية نفسها أو تجاوزا منها في ذلك الوقت، وإنما دخلت كقوات لحفظ السلام بعد أن نشبت الحرب الأهلية في لبنان، وذلك بطلب من الجامعة العربية والحكومة اللبنانية آنذاك، وقد تعزز هذا التواجد بعد ذلك في اتفاق الطائف المكرس بقرار من مجلس الأمن برقم (٥٨٧) الصادر في أكتوبر تشرين الأول عام (١٩٨٩) والمترجم باتفاقية بين الحكومتين اللبنانية والسورية والمصادق عليه من برلمانَي البلدين. وبغض النظر عن تفاصيل الأحداث التي حصلت في الفترة التي بقي فيها الجيش السوري هناك، فإن هذا التواجد كان شرعيا بناء على ما تقدم وكما هو ثابت فعلا. وقد كان التواجد السوري في لبنان عبئا ثقيلا على إسرائيل وعملائها في لبنان والمنطقة والعالم؛ حيث كانت سوريا تدعم المقاومة الفلسطينية المتواجدة في لبنان والمقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي، ولم تستطع إسرائيل إخراج القوات السورية من هناك إلا بمؤامرة حاكتها مع عملائها في لبنان ودعم من الولايات المتحدة الأمريكية، ففي عام (٢٠٠٥) تم اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق (رفيق الحريري)، وتم اتهام سوريا وحزب الله بالوقوف وراء اغتياله، وقد عملوا على إشاعة ذلك بكل الوسائل المتاحة وبأسرع ما يمكن من اللحظات الأولى للاغتيال وقبل أن يكون بأيديهم أي دليل، مما أدى إلى تجييش اللبنانيين والرأي العام وخروج المعارضين للتواجد السوري في لبنان في مظاهرات تطالب بخروج الجيش السوري من لبنان، وسميت هذه الحركة بـ (ثورة الأرز)، وعلى أعقاب ذلك وبتحريض من الولايات المتحدة الأمريكية صدر قرار من مجلس الأمن برقم (١٥٥٩) عام (٢٠٠٥) يقضي بانسحاب القوات السورية من الأراضي اللبنانية، وعلى إثر هذا القرار خرجت القوات السورية من لبنان في ٣٠ أبريل ٢٠٠٥. وفي ١ آذار مارس ٢٠٠٩ تم إنشاء المحكمة الدولية الخاصة بلبنان للتحقيق في اغتيال (رفيق الحريري) التي دفعت نفقتها الدولة اللبنانية ملايين الدولارات (حوالي ٨٠٠ مليون دولار على بعض التقارير وأكثر من ذلك بناء على تقارير أخرى خلال ١١ عاما) على حساب الشعب اللبناني، والتي إلى الآن لم يصدر عنها أي قرار واضح وشفاف بخصوص المتهمين في الاغتيال، وتم نسيان هذه القضية تماما، فالمهم لديهم كان إخراج القوات السورية، وتخليص إسرائيل من عبء التواجد السوري، ودق إسفين الخلاف بين الدولتين الجارتين والشقيقتين اللتين تربطهما وحدة حال وعلاقات أخوية ومصالح مشتركة وعميقة. (من المحقق)

التدخل الأمريكي الضاغط والمهين على سوريا، لتخرج قواتها من الأراضي اللبنانية التي تتواجد فيها بطلب من الحكومة اللبنانية، أو شريحة واسعة من اللبنانيين على الأقل.. وإلى جوار سوريا تحتل الجيوش الإسرائيلية أراضي الجولان السورية ومزارع شبعا، وأمريكا تغض الطرف عنها، وتمارس ضغوطاً عالمية وعربية، وتهديدات عسكرية على سوريا، لإجبارها على إخراج قواتها من الأرض السورية، وتضطر سوريا تحت طائلة هذه الضغوط الهائلة إلى الخروج من لبنان..

أقول كلما أتصور هذه المفارقة السياسية الواضحة في السياسة الأمريكية في المنطقة، يصيبني إحساس بالهوان، والذي يصيبني من الإحساس بالهوان يصيب كل مسلم غيور على أرضه وأمته ودينه.

ولو كانت الدول العربية، أو الإسلامية، أو مؤتمرات القمة، أو مؤتمر الطائف، هم مَن يمارس هذا الضغط على سوريا للانسحاب من لبنان، لم تكن الساحة الإسلامية الواسعة لِتشعر بمثل هذا الهوان والسخط والغضب.

إن هذه المفارقات السياسية والـممارسـات اللا منطقية في السياسة الخارجية، تؤدي بصورة طبيعية إلى تلك الممارسات اللا معقولة في مواجهة السياسات الأمريكية والأنظمة المرتبطة بها في المنطقة.

إن اللا معقول يؤدي إلى اللا معقول.

إننا لا نحتاج إلى تفكير كثير لنكتشف من نهج السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط أن أمريكا تعتقد أن إيران وسورية لا تستحقان الحياة والعلم والتطور العلمي وامتلاك القدرات العلمية، وأن إسرائيل وحدها تمتلك هذا الحق.

إن هذا المنطق اللا معقول يؤدي إلى ردود فعل لا معقولة بالضرورة.

ومن الأفضل للولايات المتحدة في موقفها من الإرهاب أن تعيد النظر في سياساتها في المنطقة وفي العالم لعلاج ظاهرة الإرهاب. فإن هذه السياسات تنتج الإرهاب لا محالة؛ إن كان في العالم الإسلامي أو خارجه.

إن من أسباب علاج هذه الظاهرة معالجة مسألة الاستبداد السياسي في طائفة من الأنظمة الحاكمة في المنطقة، ومعالجة مسألة الاحتلال في العراق وأفغانستان.

على أننا نرفض - بصورة قطعية ـ ظاهرة الإرهاب، ونعتقد أنها حركة انفعالية غير راشدة تحتاج إلى كثير من الترشيد، والموضوعية، والعقلانية، والإسلامية في التفكير، والتخطيط، والاجتهاد السياسي، والتعقل، وأنها حركة مخترقة موجهة لإثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين في العراق وأفغانستان وباكستان بشكل خاص، ولا تكفي الممارسات الأمنية لعلاج هذه الظاهرة الواسعة، إذا لم تقترن بحلول ومعالجات سياسية وثقافية.

التحدي الثالث: العَولمة

يتعرض العالم الإسلامي اليوم لانهيار واسع للحواجز السياسية والثقافية والاقتصادية التي تفصل أقاليم العالم الإسلامـي عن الغرب.. وذلك بحكم قانون القرية الكبيرة الواحدة التي ترفض وجود الحواجز بين أحيائها وأطرافها المتعددة، كما يشيعه الغربيون.

فقد تشابكت أطراف العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً، بحكم وسائل النقل والارتباط والاتصال والإعلام الكثيرة، حتى عاد من غير الممكن فصل أجزاء العالم بعضه عن بعض.

وهذه الظاهرة هي التي تهدّد أمن وسلامة الدول والكيانات السياسية والاقتصادية الضعيفة مقابل الـدول الاستكبارية ذات القدرات السياسية

والإعلامية والاقتصادية الكبيرة.

لقد تساقطت هذه الحواجز في غياب من وعي الرأي العام الإسلامي لما يجري في الساحة الإسلامية؛ سياسياً وثقافياً واقتصادياً، وفقدت الساحة الإسلامية حصانتها من غزو الشركات الاقتصادية الغربية العملاقة لأسواقنا.

وقد تمكنت هذه الشركات في المنافسة الحُرة التي تجري بينها وبين مراكزنا الاقتصادية والصناعية الداخلية من عزل مراكز الإنتاج الصناعي الداخلي وإضعافها واكتساح الأسواق في العالم الإسلامي.. طبعاً؛ بالمنافسة الحرة، كما لو جرى قانون تكافؤ الفرص بين عامل ضعيف لا يملك غير جهد ساعديه وآخر يملك رؤوس الأموال الطائلة.. إن قانون تكافؤ الفرص قانون عادل بلا شك، إذا طبق في ظروف مستويات اقتصادية ومعيشية متقاربة، أما عندما يطبق في ظروف معيشية مختلفة، وعند مستويات اقتصادية متفاوتة، فإنه يصبّ دائماً في صالح أصحاب رؤوس الأموال، وتضطر الطبقة الفقيرة الضعيفة إلى أن تبيع جهودها لهذه الطبقة بثمن بخس.

والذي يجري اليوم في الانفتاح الاقتصادي للأسواق الإسلامية على الغرب يشبه هذه الحالة تماماً، وتزداد يوماً بعد يوم حالة الضعف في إنتاجنا الاقتصادي الداخلي، ويُحكم الغرب أكثر فأكثر حركة الاستيراد والتصدير في أسواقنا التجارية، ويتحول اقتصادنا إلى اقتصاد استهلاكي استيرادي بحكم نظام العولمة الاقتصادية.

والهيمنة الاقتصادية تتبع بالضرورة الهيمنة السياسية، والأخيرة تتبعها الهيمنة الثقافية، وهذه حلقات لا ينفصل بعضها عن بعض إلا بعلاج شاق وعسير.

ولو كانت علاقاتنا الاقتصادية المنفتحة مع الغرب والدول الصناعية الكبرى

تمثل علاقة متكافئة بين الاستيراد والتصدير لم يكن علينا من ضير في العلاقة الاقتصادية المنفتحة مع الدول الصناعية.. فإن طبيعة العلاقة الاقتصادية تقتضي الأخذ والعطاء، والأخذ والعطاء المتكافئان لا يضران مراكز الإنتاج والأسواق التجارية في بلادنا.

ولكن مشكلة العالم الإسلامي في علاقاته الاقتصادية مع الغرب هي العلاقة غير المتوازنة وغير المتكافئة بين التصدير والاستيراد.

وهذه العلاقة تؤدي بالضرورة إلى هيمنة الدول الاقتصادية الغربية والشرقية على حركتنا الاقتصادية، وهي تؤدي إلى مسلسل طويل من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية.

والأمـر كذلك في الـعلاقات السياسية، فقد تعرضت حدودنا السياسية لانهيارات واسعة، وتعرضت مواقعنا السياسية، تحت تأثير الضغوط السياسية والاقتصادية والإعلامية، وكذلك التهديدات العسكرية، لنفوذ الدول الكبرى بشكل كبير.

ومن هذه العوامل الضاغطة التهديد باستصدار قرار الحصار الاقتصادي والجويّ والسياسي من قبل مجلس الأمن، وهذه القرارات في الغالب غير عادلة ولا منطقية، وتخضع لضغوط الدول الكبرى، كما نخضع نحن في العالم الإسلامي لتنفيذ هذا القرارات والخضوع لها.. في الوقت الذي لا تعبأ لها إسرائيل التي تمارس التجاوز والعدوان علانية وجهاراً رغم كل قرارات مجلس الأمن.

إن دخولنا في رحاب العولمة السياسية يساوي قبولنا من طرف واحد للنفوذ السياسي للدول الكبرى عموماً، وللولايات المتحدة الأمريكية، التي تقود الاستكبار العالمي، بشكل خاص.

وهذا النفوذ السياسي لا يجري بصورة متكافئة في العلاقات الدولية كما

يجري بين أي كيانين سياسيين متعاملين مع بعض؛ سياسيا واقتصاديا، وإنما يجري من طرف واحد فقط.

وهذه الحالة بالذات هي التي حرّمها الإسلام مؤكداً؛ من خلال نفي السبيل للكافرين على المؤمنين، والسبيل هو النفوذ، يقول تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1].

ونهى الله تعالى عن الركون إلى الظالمين، وساوى بينه وبين النار في جهنم، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2].

وليس هناك من يمارس الظلم في حياة الناس أعظم من الدول الكبرى التي تمارس أبشع أنواع الظلم والإجحاف بحق المسلمين، وقد حرّم الله تعالى الركون والاطمئنان إليهم والثقة بهم، وأمرنا بالتعامل معهم من موقع الاستعلاء والقوّة، لا من موقع الانفعال والضعف.

إن العلاقات السياسية والاقتصادية المنفتحة مع الغرب، والدخول في نظام العولمة سياسياً واقتصادياً، يؤدي بصورة مباشرة إلى تدفق النفوذ السياسي والاقتصادي لدول الاستكبار العالمي إلى العالم الإسلامي من طرف واحد.

تماماً كما لو رفعنا الحواجز الهندسية عن تدفق السيول إلى أرض منخفضة، فإن انهيار هذه الحواجز يساوي الخراب الواسع الذي يتبع تدفق السيول إلى أرض منخفضة عامرة بالناس والعمران. والصحيح هو تنظيم العلاقة، وليس الانفتاح اللا محدود الاقتصادي والسياسي والثقافي كما يدعو إليه دعاة العولمة، ولا تختلف الحواجز السياسية والاقتصادية عن الحواجز الثقافية.. فكما تحتفظ لنا هذه الحواجز في الاقتصاد والسياسة بالحصانة الاقتصادية والسياسية،

---

١. النساء: ١٤١.

٢. هود: ١١٣.

وتحفظهما من النفوذ الاقتصادي والسياسي للدول الكبرى، كذلك الحواجز الثقافية تحفظ لأمتنا مناعتها الثقافية والحضارية من التحلل الخُلُقي والقيمي الذي يقدمه لنا الغرب من خلال وسائله الإعلامية الضخمة والمتطورة.

إن الغرب استطاع - للأسف - أن يكسر الحواجز التي تفصلنا عنه ثقافياً وحضارياً بالآليات الخَبَرية والإعلامية الفضائية، وشبكات الإنترنيت، والصحافة المتطورة التي تُطبع في عدة عواصم في وقت واحد.

ودخل الغرب بهذه العملية الاقتحامية عُقر دورنا ومخادع نوم أبنائنا وبناتنا، ومن دون أي حاجز يذكر، كما لو كان السد يتهاوى أمام تدفق السيول المخربة، فتدخل السيول بقدرة تخريبية عالية دُور الناس وممتلكاتهم، ثم محلاتهم، وتسلب منهم كل قدرة على حجز هذا التدفق المخرب ومنعه.

إن الذي يجري اليوم في الأوساط الثقافية في العالم الإسلامي هو الكارثة الثقافية، بعينها، لو لم يتدارك المسلمون عمق الكارثة بوعي وتخطيط دقيق؛ للحد من خسائرها، وبالتالي السيطرة عليها.

إن الانفتاح الثقافي والحضاري القائم فعلاً ليس عملاً ثقافياً وحضارياً (حواريّاً) متبادلاً بين ثقافتين وحضارتين، كما يأمرنا القرآن بالحوار، وتبادل الأفكار، والثقافات، وإنما هو اكتساح ثقافي. وليس من الصحيح أن نخدع أنفسنا في هذه الكارثة الثقافية التي تحل بأبنائنا وبناتنا، ونسبغ عليها عناوين وهميّة من قبيل الحوار والانفتاح، فإن الإسلام لا يمنع من الحوار والانفتاح؛ بل يأمر بهما، ولكن الذي يجري اليوم هو شيء آخر، يختلف عن الحوار والانفتاح السياسي تماماً.

إن الذي يجري في الوسط الثقافي، في العلاقة بيننا وبين الغرب، هو تماماً ما يجري في الأسواق التجارية في العلاقة الاقتصادية بيننا وبين الدول الصناعية،

وفي مواقع النفوذ السياسي بيننا وبين الدول الكبرى في العلاقة السياسية والنفوذ السياسي.

وهذا الذي يجري اليوم في نظام العولمة الجديد؛ سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ليس من مقولة الانفتاح المتكافئ، وتبادل العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، وإنما هو من نوع الاجتياح السياسي والثقافي والاقتصادي.

وهذا الاجتياح الثقافي، يهددنا إذا لم نتداركه بوعي وعقل وتخطيط دقيق.. يهددنا بفقدان المناعة الثقافية والحضارية، وهو ما يطلق عليه الأطباء عنوان(الإيدز) طبياً.. فإن شيئاً من هذا القبيل يجري في عالم الثقافة كما يجري في عالم الطب من فقدان المناعة من الأمراض المعدية.

وليس أمامنا خيارات كثيرة في هذا الاجتياح الثقافي والحضاري الواسع، وليس بوسعنا أن نمنع الأثير من أن ينقل إلينا ذبذبات الصوت والصورة، وليس بوسعنا أن نغلق أبواب دُورنا وغرف أبنائنا وبناتنا عن هذا الاجتياح الثقافي الواسع.. والشيء الوحيد الذي نملكه ويجب أن نخطط له هو التربية بالتقوى، وبناء الجيل الجديد على أساس قويّ من التقوى. فإن التقوى عازل تربوي قوي، ولباس واقٍ يحفظ الجيل الصاعد من حرائق التحلل والابتذال الخلقي القادمة إلينا من ناحية الغرب، يقول تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1]، وكما يحفظ اللباس الإنسان من الحرّ والبرد، ويستر سَوْءته عن أنظار الناس، كذلك التقوى تحفظ الشباب في وسط هذه الحرائق ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2].

إن التقوى لباس يستر سَوْءة النفس، كما يستر اللباس سوأة جسمه، وهو كما

---

١. الأعراف: ٢٦.

٢. الأعراف: ٢٦.

يقول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: (التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْه)[1].

إن الأداة التي تمكّننا من مواجهة هذا الغزو الثقافي الهائل (بل القصف الثقافي)، هو التقوى، وهو أداة قوية، وعازل قوي، يحفظ الشباب - من الجنسين - من تأثيرات هذه الثقافة الحضارية المتحللة.

١. نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦، من خطبة له عليه السلام يحث الناس على التقوى، ص١٨٠.

مفردات المشروع الإسلامي لمواجهة التحديات

لست بصدد طرح المشروع الإسلامي لمواجهة التحديات، فهو حديث يطول وبحاجة إلى جهد فكري جمعي وتأمل ودراسة كثيرة، ليس موضعه هنا.

ولكنني سوف أستعرض هنا مفردات المشروع السياسي - الثقافي لمواجهة التحديات، وهذه المفردات هي العناصر المقوّمة لأي مشروع ثقافي - سياسي لمواجهة التحديات الحاضرة التي تحدق بالعالم الإسلامي.

وسوف أستعرض هذه المفردات في أربعة مجاميع:

أ - المفردات التربوية الثقافية.

ب - المفردات الحركية.

ج - المفردات السياسية.

د - المفردات الاقتصادية والعلمية.

وإليك التفصيل:

المفردات التربوية الثقافية

١. مكافحة حالة الهزيمة النفسية

التحديات والفتن خافضة رافعة، وهذه خاصيتها، يَصْعَد عليها ناس إلى الله، ويسقط منها آخرون إلى الدرك الأسفل من الجحيم. إن الفتن والتحديات قد تزيد الناس الذين يواجهونها صلابة وقوة ومقاومة، وقد تسلبهم المقاومة، وتأخذ بهم إلى التسليم والرضوخ والمطاوعة للفتن وقبولها من موقع التسليم والانقياد، وهي خصلة مضادة للخصلة الأولى.

والتحديات والفتن ليست بضارة في نفسها، وإنما هي سُنة من سنن الله تعالى في حياة الناس، لا تحويل ولا تبديل لها، وإنما الضار هو الموقف النفسي من التحديات والفتن.

والأعداء لا يضرون الأمة بقدر ما تضرها الهزيمة النفسية تجاه العدو.

وليس بإمكاننا إخلاء الساحة من الأعداء والتحديات، ولكن بإمكاننا توجيه الموقف النفسي من الأعداء وتحدياتهم من الهزيمة النفسية إلى المقاومة والصمود.

وعندئذٍ ينقلب حضور العدو وتحدياته في ساحتنا إلى أمر نافع؛ لأنه يثير الغيرة والمقاومة والصمود في نفوس المؤمنين.

ونضيف إلى ذلك فنقول: كما أن من الخطأ تهويل العدو وتحدياته، والشعور بالهزيمة النفسية تجاهه، كذلك من الخطأ الاستهانة بالعدو والغفلة عنه.. فإنّ العدوّ يترقب مواقع الغفلة، وثغرات الضعف في كيان الأمة، ليوقع بها في لحظة الغفلة الضربة المهلكة.. أقول: كل منهما خطأ: تهويل العدو، والاستهانة به، والصحيح هو الحذر من العدو ومقاومة الشعور بالخوف.

٢. التقوى والمقاومة النفسية

إن المقاومة النفسية للأهواء والشهوات والانفعالات النفسية هي التقوى، وهي مبدأ كل مقاومة في حياة الإنسان، فإذا فشلت الأمة في مقاومة الأهواء داخل نفوسها، فهي بالضرورة تكون ضعيفة تجاه ما يقابلها من التحدي والعدوان.

و(التقوى) محفوفة بالقوّة والنصر ومعيّة الله، فهي لا تتحقق في حياة الإنسان إلاّ بالقوة. والضعف والاسترخاء لا يحققان التقوى في حياة الإنسان.

ومما أمر الله تعالى بني إسرائيل: أن يأخذوا الكتاب بقوة لعلهم يتقون ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

التقوى هي نتيجة هذه الخصال الثلاثة:

الخصلة الأولى: الإقبال على الكتاب، والأخذ به، وعدم الإعراض عنه ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾.

الخصلة الثانية: ﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ وهي الخصلة الثانية. إن التّلقّي الضعيف للكتاب، لا يحقق التقوى في حياة الأمة، ومن دون التقوى لا تكون الأمة قوية.

الخصلة الثالثة: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾؛ وهذه هي الخصلة الثالثة، الذكر والوعي.

وإنما دعاهم الله إلى هذه الخصال الثلاث: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وكما كانت التقوى حاصلة من القوة في التلقي والتمسك والأخذ، كذلك هي من أسباب النصر والقوة ومعية الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

١. البقرة: ٦٣؛ والأعراف: ١٧١.

مُحْسِنُونَ﴾[1]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

٣. الصبر والتقوى

والصبر نحو آخر من المقاومة النفسية، وهو والتقوى حالتان من المقاومة النفسية، ضروريتان لحالات المواجهة والمقابلة.. والله تعالى يرزق عباده بهما (عَزْمِ الْأُمُورِ)، ويمنحهم القوة على إمضاء الأمور وتقرير المصير ومواصلة العمل ومقاومة التحديات ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[3].

كما أن الله تعالى يحبط بهما مكر الأعداء وكيدهم ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾[4].

٤. الإعداد التربوي للجيل الناشئ والصاعد

الجيل الذي يواجه التحديات لابد أن يكون صلباً، صعباً، يمتلك مزايا وكفاءات عالية على مواجهة التحديات والصمود والمقاومة.

ولابد لهذا الجيل من إعداد صعب.

ومنهج التربية الإسلامية هو المنهج الصعب الذي ينشئ هذا الجيل الصعب.

إن هذه الأمة تواجه اليوم وغداً البأساء والضراء بأقسى ما تكون البأساء والضراء وأشدّها، وسوف تحتدم الحضارتان الإلهية والجاهلية في صراع مصيري صعب.. ولابد لهذا الصراع من رجال صعاب ونساء صعبات، وللأسرة الدور الأول

---

١. النحل: ١٢٨.

٢. البقرة: ١٩٤؛ التوبة: ٣٦ و١٢٣.

٣. آل عمران: ١٨٦.

٤. آل عمران: ١٢٠.

في بناء هذا الجيل الصعب، وللمدرسة الدور الثاني.

ومن الآن لابد أن نُعِدّ العدة لهذه المعركة، وقد تخلينا وتأخرّنا كثيراً عن الإعداد والتحضير لها.. فلابد أن نتدارك.

ه. إشاعة ثقافة الجهاد والمقاومة

ثقافة القوة والمقاومة والجهاد جزء لا يتجزأ من ثقافتنا الإسلامية، وقد فقدنا هذه الثقافة في ظروف الهزيمة النفسية مقابل أولئك الذين كانوا يتحاملون على الإسلام بأنه دين العنف والسيف، فتراجعنا من خطّ المواجهة الثقافية، وأخذنا ننفي من هذا الدين صفة القوة والقتال والمواجهة، ونضفي عليه صفة التسامح والرحمة، وكأننا نعتذر إليهم ممّا نجد في دين الله من قوة ورهبة!!

والإسلام دين رحمة وتسامح وحب، لا شك في ذلك، ولكن على أن لا نلغي من الإسلام خصلته الأخرى، وهي القوة والغِلظة مع الكافرين والظالمين والمفسدين في الأرض والمستكبرين.

والإسلام يضع كلاّ من هاتين الخصلتين في مواضعهما، فلا تنفع الرحمة في موضع الغلظة، كما أن الغلظة تضر في موضع الرحمة.

ونحن اليوم، في مواجهة التحديات المصيرية التي تواجهنا، بحاجة إلى التأكيد على هذه الخصلة في دين الله، وإشاعة ثقافة المقاومة والجهاد والقوة في هذا الدين. يقول تعالى:

- ﴿يَآ اَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِۚ اِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى

١. الأنفال: ٦٥.

الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[1].

- انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [2].

وقد أمرنا الله تعالى بإعداد القوة لهذه المعركة، وإرهاب أعداء الله.

- وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ [3].

وهذا الإرهاب الذي يأمرنا الله تعالى به في آية الأنفال لا نتبرأ منه إذا كان لأعداء الله وأعدائنا. وأما الإرهاب الذي نتبرأ منه ونرفضه فهو إرهاب الأبرياء من الناس.

٦. تحديد المفاهيم وإزالة اللُّبس

إن التناول غير العلمي للمفاهيم الفقهية والكلامية الإسلامية يؤدي إلى كثير من اللبس والانحراف الفكري.

وممن وقع في مثل هذا اللبس الشريحة التكفيرية المعاصرة في عالمنا الإسلامي اليوم.

إن مفاهيم من قبيل (الإسلام)، (الإيمان)، (الكفر)، (الشرك)، (الارتداد)، (إهدار الدم) وأمثال ذلك، لا يجوز تداولها وتناولها إلاّ من قبل الفقهاء

---

١. التوبة: ٣٨.

٢. التوبة: ٤١.

٣. الأنفال: ٦٠.

والمتكلمين أصحاب الاختصاص.

والحالة التكفيرية والإرهابية المعاصرة قد وقعت في مثل هذا الخبط العلمي العجيب؛ بسبب عدم تناول هذه المواضيع الحساسة والخطيرة في هذا الدين من قبل أصحاب الاختصاص الفقهي من فقهاء المسلمين.

فقد حصّن الإسلام دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بكلمة لا إله إلاّ الله.

عن رسول الله ﷺ: (إِنّي أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا حَرُمَتْ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله)[1].

وروى مسلم، أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

---

١. سنن الدارمي، الباب ١٠ من كتاب السير، ص٥٨٧، ح٢٦٣٨؛ وصحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقال القبلة، ج١، ص٨٧، ح٣٩٢؛

٢. صحيح مسلم، الباب ٤١ من أبواب كتاب الإيمان، ج١، ص٩٧، ح٩٧/١٦٠؛ وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَابٌ عَلَى مَا يُقَاتَلُ الْمُشْرِكُونَ، ج٢، ص٤٤، ح٢٦٤٠ و٢٦٤١؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١٤، ص٢٢١، ح٨٥٤٤، وج٢٠، ص٣٤٩، ح١٣٠٥٦، وج٢١، ص٥٩، ح١٣٣٤٨، وج٢٣،

وأخرج البخاري أن رجلاً قام فقال: يا رسول الله، اتق الله. فقال ﷺ: ويلك ألست أحق أهل الأرض أن يتقي الله، فقال خالد: ألا أضرب عنقه؟ فقال ﷺ: لا؛ لعله أن يكون صلى[1].

إن الطرح والتناول الفقهي للمصطلحات والمفاهيم الإسلامية، يزيل أمثال هذا الالتباس، ويحفظ الناس من الانحراف والسقوط.

٧. التثقيف السياسي

الوعي السياسي الإسلامي يحصّن المسلمين من التضليل الإعلامي الواسع الذي تقوم به أجهزة الإعلام السياسية في العالم؛ من قلب الحقائق، وإظهار الباطل بمظهر الحق، وإظهار الحق بمظهر الباطل.

ص١٨، ح١٤٦٥٠ وج٢٦، ص٨١، ح١٦١٦٠ وص٨٧، ح١٦١٦٣؛ وسنن ابن ماجة، باب الإيمان، ج١، ص٥٢، ح٧٢ وباب الكفّ عمن قال: لا إله إلا الله، ج٥، ص٨٢، ح٣٩٢٨ و٣٩٢٩؛ وسنن النسائي، كتاب تحريم الدم، ج٧، ص٧٥، ح٣٩٦٦، وص٧٦، ح٣٩٦٧ وص٧٩، ح٣٩٧٦ - ٣٩٧٩ وباب على ما يقاتل الناس، ج٨، ص١٠٩، ح٥٠٠٣. ونصّ الحديث الوارد في المتن هو للأول، أما باقي المصادر فقد ورد فيها الحديث إما بعينه أو بألفاظ قريبة منه. (من المحقق)

١. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب بعث علي بن أبي عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن، ج٥، ص١٦٣، ح٤٣٥١. مع اختلاف في اللفظ، وهذا نصّ الحديث: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الخَيْلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: «وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: «لاَ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي».. (من المحقق)

ونحن اليوم نواجه تضليلاً إعلامياً واسعاً، وليس بإمكاننا أن نحجب المسلمين من هذا الإعلام العالمي المضلّل.. ولكن بإمكاننا أن نحصّن المسلمين من تأثيرات هذا الإعلام، وذلك بالتثقيف ونشر الوعي السياسي الإسلامي في صفوف المسلمين.

إن العلماء وخطباء الجمعة وخطباء المنبر الحسيني والكتّاب والمثقفين يحملون اليوم مسؤولية نشر الوعي السياسي في صفوف المسلمين بشكل عام، وفي صفوف الشباب بشكل خاص، فإن الشباب أكثر الناس تعرضاً لمثل هذا الإعلام وتأثراً به.

والإعلام اليوم جزء لا يتجزأ من المعركة القائمة بيننا وبين أعداء هذه الأمة، والسلاح الذي نستطيع أن نقاوم به الإعلام هو الوعي.

المفردات الحركية

١. مقابلة التحدي بالتحدي

إن من أفضل أساليب مقابلة التحدي مقابلته بالتحدي. إن الدفاع أمر لابد منه في أية مواجهة وأي تحدٍ وفتنة. ولكن موقع الدفاع موقع ضعيف دائماً، ولا يصح الاقتصار عليه.

فإن الاقتصار على الدفاع يؤدي إلى إبقاء حالة عدم التوازن بيننا وبين خصومنا.. بين جهة الهجوم وجهة الدفاع، فإن خصومنا الحضاريين والسياسيين يبتدعون كل يوم فتنة جديدة وتحدياً جديداً، ولا ينتهي مسلسل التحديات.

فيستهلكنا الموقف الدفاعي، ويبقى العدو في موقع أفضل منا بحكم دوره في التحدي والهجوم، ويبقى موقعنا أضعف من موقع العدو، بحكم موقعنا الدفاعي.

ولكي تنقلب هذه اللا معادلة إلى العكس.. لابد أن نحشر خصومنا في موقع الدفاع، ونخرج نحن من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم.. أو لا يستغرقنا الدفاع على الأقل.

ولكي نتحوّل إلى موقع الهجوم لابد أن نبحث عن ثغرات في كيان العدو الحضاري والثقافي والنفسي والسياسي، وهي كثيرة، يجب أن نحوّل بعض جهدنا إلى تحدي الخصم ومهاجمته في عقر حضارته وثقافته وكيانه السياسي.

وسلام الله على أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: (رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاء)[1].

إن الدراسات الاستشراقية لم تكن لغايات علمية ومعرفية من أول يوم، وإنما كانت لغايات استكشافية، يكتشفون فيها ثغرات الضعف في تاريخنا وثقافتنا.

وبقي علماؤنا في موقع الدفاع تجاه الدراسات الاستشراقية إلى اليوم.. وهو أمر لابد منه، ولا يجوز أن نترك المستشرقين يعبثون بتاريخنا وثقافتنا ويُشوّهونها من دون رد.

ولكننا لو كنا نبذل من أول يوم في صراعنا مع الاستشراق بعض هذا الجهد في دراسات (استغرابية) نكتشف فيها نقاط الضعف في تاريخ الغرب وحاضره وثقافته بصورة موثقة منذ أيام القمع الكنسي للعلم، والحركة الإرهابية في تفتيش العقائد، إلى حالة التحلل الخلقي والقيمي القائمة اليوم في الغرب، وحالة التفكك العائلي التي تهدد كيان الأسرة في الغرب تهديداً حقيقياً، وثغرات الضعف الكثيرة في النظام الرأسمالي الغربي، والديمقراطية الغربية والليبرالية، والاقتصاد الحر، وأمثال ذلك وهي كثيرة.

أقول: لو كنا نضع بعض هذا الجهد الذي بذلناه للدفاع عن الإسلام في

---

١. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٠٦، ص٤٧١.

الهجمات الاستشراقية.. لو كنا نضع بعض هذا الجهد في دراسات استغرابية نكشف بها سَوءة الحضارة المادية الغربية، ونعرّيها لكان أجدر وأنفع مما صنعناه..

على أن الذي صنعناه في الرد على شبهات المستشرقين كان واجباً لا مناص منه.. لا خلاف في ذلك، وبكلمة واحدة إن مواجهة التحدي بالتحدي هو أفضل أساليب المواجهة والدفاع.

٢. المرابطة والحضور الواعي في الساحة

لا تبقى الساحة الاجتماعية فارغة بحكم ضرورات السنن الإلهية، فإذا عَمَر المؤمنون ساحتهم بالحضور الواعي الفاعل، عَمُرتْ بهم الساحة وانتعشت.

وفي حالة إخلاء الساحة من المؤمنين لا تبقى الساحة شاغرة بانتظار حلول الصالحين، وإنما يفسح خلو الساحة من أبنائها المجال للعناصر الانتهازية التي تنتهز الفرص للتسلق على دماء الشهداء وتضحيات الصالحين من الشباب وسجونهم وعذابهم.

إن (شهود) الصراع الذين شهدوا ساحة الصراع المحتدمة أمس، في العراق، بين النظام البعثي والإسلام، يرثون اليوم دماء (الشهداء). وهكذا (الشاهد) دائماً يرث (الشهيد).. وهذا الميراث ليس من نوع المواريث المادية التي يرثها الأبناء من الآباء، وإنما هو ميراث المسؤوليات والواجبات.

إن الحضور الواعي في الساحة السياسية من قبل الجمهور الصالح المخلص من المؤمنين تكليف شرعي، يجب أن يلتزم به الجمهور الذي يرث هذه الساحة عبر دماء النخبة الصالحة من أبنائها وعذابهم.

والتهاون في الحضور، واللا مبالاة تجاه ما يجري في الساحة من أحداث

سياسية وثقافية وإداريـة.. هو تهاون في التكليف الشرعي.. إذا انطلقنا من منطلق وجوب الرعاية الشاملة والمتبادلة في الشبكة الواسعة من العلاقات، داخل الأمة كما يقول رسول الله ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[1].

وهذه قفزة نوعية في الوعي السياسي للأمة، إذا عرفت أن الحضور السياسي في الساحة في الصميم من التكليف الشرعي.. وأن صوتها ينبغي أن يكون هو الصوت الأقوى، وهتافها هو الهتاف المدوي في الساحة، ورأيها وقرارها هو قرار الساحة، وجمهورها هو الذي يشكّل القاعدة العريضة في الساحة، ولا يحجب صوتها الدوي الإعلامي الخادع، من الذين ليس لهم وجود إلاّ في الإعلام، ولا مصداقية لهم في غير الإعلام.

وعليها أن لا تسمح للجماعات والفئات الوصوليّة التي همّها الوصول إلى السلطة، بأي ثمن، أن تنوب عنها في الوصول إلى مواقع السلطة، كالعصابة التي حكمت العراق لأكثر من ثلاثة عقود من الزمان بسبب غياب الأمة عن الساحة، وانصرافها عن مهام الساحة ومسؤوليات الشأن العام إلى شؤونها الفردية والأُسرية، اللهم إلاّ مساحات من الأمة والحوزة العلمية ليست بحجم العراق بالتأكيد.

إن لكل إنسان اهـتمامات خاصة، من غير شك، في معيشته وحاضره ومستقبله ورزقه وأسرته، ولكن ينبغي أن لا تحجبه هذه الاهتمامات عن الساحة العريضة التي تتعلّق بكل الأمة.. فإن جمهور الأمة إذا غاب عن الساحة تتحول الساحة إلى ساحة للمناورات السياسية والإعلامية لعصابات همهم الوصول للسلطة بأي ثمن، ومهما كانت الوسائل.. وقد جرّب العراقيون هذه العصابات أكثر من مرة، وكانت التجربة الأخيرة، التجربة الأكثر مرارة وقسوة في تاريخهم.

وقد حدث ما كان يجب أن لا يحدث، ولا سبيل إلى تلافي ما حدث، ولكن

١. صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ج٢، ص٥، ح٨٩٣.

يجب أن نحول دون حدوثه مرة أخرى.

ولئلا تتكرر الكارثة يجب أن يحرص الجمهور المؤمن الصالح الواعي على الحضور في الساحة، والاهتمام بالشأن العام، والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية.

والله تعالى يحب اهتمام الناس بالشأن العام وحرصهم عليه، فإذا وجد الله تعالى من الناس هذا الحرص، والصدق، والعزم، والوعي، والعطاء، والإحساس بالمسؤولية، تجاه ما يجري في الساحة، وضع يده على أيديهم ، ومع أيديهم، وحيث تكون يد الله تكون القوة والنصر والسداد. إن شاء الله تعالى.

إن تجمعات من قبيل صلاة الجمعة ، صلوات الجماعة، الحج، الأعياد الإسلامية، مناسبات أهل البيت عليهم السلام وزياراتهم ، مجالس العزاء الحسيني، المجالس المخصصة للدعاء، مثل مجالس دعاء كميل ليالي الجمعة.. والمسيرات السياسية الدينية مثل مسيرات التأييد والاحتجاج والاعتراض، وأمثال ذلك تجمعات مباركة تنزل فيها رحمة الله، وتشعر جمهور المؤمنين بالقوة والكثرة، وتنفي عنهم الإحساس بالوحشة والقلة، وتخيف الأعداء وترهبهم.

وقد كان أزلام نظام البعث يتهيبون مواسم الزيارة التي يجتمع فيها المؤمنون لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وكانوا يعملون كل ما بإمكانهم لإعاقة زيارة الحسين عليه السلام في كربلاء.

وليست هذه الرهبة جديدة في نفوس الظالمين.. فطالما وجدنا الظالمين منذ عصر بني أمية وبني العباس إلى اليوم يخافون تجمع الناس حول الشعائر والمجالس الحسينية ويلجأون إلى القوة لتفريقهم.

ويقع على عهده العلماء والخطباء والمفكرين توجيه هذه الاجتماعات وإثراؤها بالأفكار والتوجيهات.

٣. الوعي السياسي والإحساس بالمسؤولية

وشرط الحضور أن يكون حضوراً (واعياً) و(مسؤولاً). وهـذان شرطان أساسيان في الحضور: (الوعي والإحساس بالمسؤولية).

فإذا فقدنا الوعي في الحضور كان الحضور غوغائياً انفعالياً، وكان ضرّه أكثر من نفعه، ويتحول الحضور عندئذٍ إلى حالة قطيعيّة عائمة، غير موجهة.

وإذا فقدنا المسؤولية في الحضور كان الحضور أشبه شيء بحضور المتفرجين الذين ينفرطون عند الأزمات والشدة، كما يحضر الناس ألعاب كرة القدم ثم ينفرطون إذا انتهت اللعبة.

إذًا؛ لابد أن يمتلك الجمهور الوعي السياسي الذي يمكّنه من التشخيص السياسي الصحيح، ويمكّنه من أن يخترق الإعلام السياسي والشعارات السياسية المضلّلة، ويمنحه حالة من الثبات والثقل السياسي، ولا يكون خشبة عائمة على أمواج (الإعلام) و(السياسة)، (أتباع كل ناعق) كما يقول الإمام الحسين عليه السلام[1].

إن الوعي السياسي يعطي للأمة ثقلاً، وتشخيصاً صحيحاً، وبصيرة سياسية، وثباتاً في المواقف السياسية.. وبعكسه تكون الأمة عرضة للشعارات السياسية المضلّلة، وللإعلام المضلل ، والمناورات التي تقوم بها الجماعات التي تعمل للوصول إلى السلطة بأي ثمن (الوصوليون)، ويتحول الجمهور عندئذٍ إلى حالة انفعالية غوغائية. وقد شاهدنا مشاهد من هذه الحالة الغوغائية للجمهور في الساحات السياسية في العالم الإسلامي كثيراً.

---

١. هكذا ورد في النصّ الأصلي المتوفر بين أيدينا للشيخ رحمه الله، والقول هو لأمير المؤمنين عليه السلام وليس للإمام الحسين عليه السلام، وإليك نصّ الحديث: جاء في حديث طويل لأمير المؤمنين عليه السلام مع كميل بن زياد رحمه الله: يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاةِ وَ هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ. (نهج البلاغة، الحكمة: ١٣٩، ص٤٣٣). (من المحقق)

وإشاعة الوعي من مسؤوليات العلماء وخطباء الجمعة والجماعات وخطباء المنبر الحسيني والمثقفين.

وليس من عجب أن يمتلك الجمهور الوعي السياسي الراشد الذي يجعل منه قوة موجهة وراشدة وصامدة.. ففي الجمهور مواهب وكنوز من المعرفة والإخلاص والحصانة، ليس في غيرهم، ولربما يتجاوز الجمهور في وعيه ورشده وبصيرته السياسية النخبة المثقفة.

والشرط الآخر لحضور الجمهور، الإحساس بالمسؤولية تجاه الساحة، انطلاقاً من تعميم مسؤولية الرعاية السياسية والاجتماعية على الجميع في شبكة مترابطة، كما في الحديث النبوي: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[1].

إن الساحة السياسية، ليست بمثابة ساحات الألعاب الرياضية التي يحضرها المتفرجون، يتفاعلون مع هذه الجهة أو تلك لساعات، ثم ينفض الجمهور، كلٌّ لشأنه.

لكل فرد من الجمهور يحضر الساحة دور ومسؤولية، يجب أن يتحسّس به، ويدركه، كما يدرك مسؤوليته تجاه أسرته ورزقه ومعيشته.. والمسؤولية الاجتماعية على الإسلام والمسلمين أهم من المسؤولية الفردية، وقد يجب على الإنسان أن يضحّي بشؤونه الفردية من أجل المسؤولية الاجتماعية.

فما من منكر ولا فساد يقع في المجتمع، إلاّ ويتحمّل الناس جميعاً مسؤولية ذلك، حتى ترتفع المسؤولية بإقدام البعض، وفي غير هذه الصورة يجب على كل فرد في المجتمع - على نحو الكفاية - أن يقوم بواجبه تجاه مكافحة المنكر والفساد، كما يقول الفقهاء في الواجبات الكفائية.

---

١. صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ج٢، ص٥، ح٨٩٣.

وإذا تولى نظام فاسد ظالم الحكم في المجتمع، وقف الجميع موقف السؤال تجاه هذه الحالة من الاستبداد والظلم حتى يسقط الظالم، أو يؤدي الإنسان المسلم ما يجب عليه من العمل في المعارضة والجهاد.

إن الحياة الاجتماعية مسؤولية في الإسلام، لا يعفى منها أحد حتى يؤدي ما عليه، أو تسقط المسؤولية بإقدام الآخرين.

٤. الحركة والمراقبة

للحضور دوران في حياة الأمة: الدور الحركي، ودور المراقبة. ولابد منهما معاً في الساحة.

الساحة بحاجة إلى الحركة، والعطاء، والنصيحة، والمشاركة في أداء المسؤوليات، ودعم الأعمال الصالحة وتأييدها، والتعاون في حركة البناء، والتضامن، والتكامل، والتناصر .. وهذا هو الدور الأول.

والدور الثاني دور المراقبة والنقد، وهي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا تَخَلّت الأمة عن مراقبة الساحة وما يجري فيها عمّت المنكرات والفساد الساحة، والذي يحصّنها من الفساد والظلم والمنكرات هو المراقبة الدقيقة لما يجري فيها.

إن المراقبة والأمر بالمعروف والنهي المنكر حسّ وإحساس بالمسؤولية، ولابد أن يَتَسلّحَ أبناء الساحة بهذا الحسّ الذي يمكّنهم من التقاط مشاهد المخالفة والانحراف والتخلف والفساد وفوضى الأمن.

ولابد أن يمتلكوا الإحساس بالمسؤولية تجاه ذلك كله؛ ليقاوموا مظاهر المنكر والفساد في المجتمع.

وكما يجب أن تكون حركة البناء حركة اجتماعية عامة بجميع أبناء الساحة

في مسيرة العمل الصالح.. كذلك يجب أن تكون المراقبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاعتراض، بصورة اجتماعية تعبّر عن غضب الأمة، وسخطها، واعتراضها، على مظاهر الفساد والمنكرات في المجتمع.

٥. المقاومة

الأمة من دون المقاومة ريشة في مهب الرياح، وخشبة عائمة على أمواج السياسة والإعلام.

والحياة صراع ، والطرف الذي يبقى في ساحة الصراع ليس هو الطرف الأقوى غالباً؛ بل هو الطرف الأكثر مقاومة.

والشواهد التاريخية على هذه الحقيقة كثيرة، ومن التاريخ المعاصر نشير إلى انتصار الشعب الإيراني في ثورته التي قادها الإمام ﷺ على حكومة الطاغية (بهلوي)، وانتصار الشعب العراقي على حكومة الطاغية صدام، وانتصار شباب الجنوب في لبنان على إسرائيل، ومقاومة ثورة الحجارة وصمودها في وجه إسرائيل.

والحقيقة هامة يجب أن يعيها المسلمون، اليوم، في مواجهة الاحتلال الأمريكي، المدجج بالسلاح، والمجهز بأعتى قوة عسكرية على وجه الأرض، والمدعوم بأوسع إعلام سياسي في العالم:

أن المواجهة المصيرية بين المسلمين من جانب وأمريكا وإسرائيل من جانب آخر هو قَدَر هذه الأمة في هذه الفترة من تاريخها.. ونحن بإزاء هذا القدر السياسي نحتاج إلى وعي وبصيرة سياسية للحقيقة التي يؤكدها القرآن في أكثر من موقع: في انتصار (المقاومة) على (العدوان)، وإن كان حجم العدوان أضعاف حجم المقاومة.

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1].

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَما ضَعُفُوا وَما اسْتَكانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ﴾[2].

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾[3].

والمقاومة على أنحاء، منها المقاومة المسلّحة، ومنها المقاومة السياسية والإعلامية، ومنها المقاومة الاقتصادية التي تتجسّد في الامتناع عن استخدام البضائع الأمريكية، والامتناع من تصدير النفط إلى الكيانات السياسية التي تعلن العداء لهذه الأمّة، وقبول الحصار الاقتصادي الذي تستخدمه أمريكا ضد خصومها بواسطة مجلس الأمن. ومنها المقاومة الثقافية، وغير ذلك.

وسوف تبقى (المقاومة) أمراً أساسياً في حياتنا السياسية والاقتصادية والثقافية المعاصرة إلى أن يأذن الله تعالى بالفرج.

وأما نوع المقاومة، فتقرره الظروف السياسية والمصلحة والمرحلة، وهي مسائل أساسية يلي أمرها أولياء أمور المسلمين.

المفردات السياسية

١. الخطاب السياسي

الخطاب السياسي وتحديده من أهم مطالب الحياة السياسية، ومن دون وجود خطاب سياسي للأمة، وتحديد إطاره ومضمونه السياسي لا ينعقد الموقف

---

١. الأنفال: ٦٥.

٢. آل عمران: ١٤٦.

٣. الأنفال: ٤٦.

والقرار، ولا يمكن تحديد الشعار السياسي (الذي لابد منه في أية عملية سياسية).

كذلك لا يمكن تقرير المصير، وتحديد نوع الحكم ، والعلاقات السياسية، ومسائل المعارضة، والجهاد إلاّ بتحديد الخطاب السياسي.. وهذا كله يتوقف على وجود خطاب سياسي للأمة، وتحديد المضامين التي يتضمنها الخطاب، حتى الدستور يتوقف على الخطاب السياسي، ومن دونه لا يمكن تدوين الدستور، فإن الدستور ملتقى السياسة والقانون.

خطاب الأمة والخطاب الرسمي

ونحن نقصد بـ (الخطاب السياسي) خطاب (الأمـة)، وليس الخطاب (الرسمي)، فقدْ فَقَدَ الخطاب الرسمي في أكثر أقاليم العالم الإسلامي أهميته وقيمته السياسية، لكثرة الكذب والتمويه، ولكثرة المفارقات في الخطاب السياسي الرسمي.

فقد مارس حزب البعث أبشع أنواع الفساد، والاستبداد، والاضطهاد، والابتزاز، والإسـراف في الدماء والأمـوال والأعـراض في العراق، والتآمر، وإثارة الحروب والفتن في المنطقة كلها تحت عنوان (الوحدة والحرية والاشتراكية).

إن الخطاب السياسي الحق ، الذي له دور في صناعة الموقف والقرار، والمصير السياسي، والعلاقات السياسية، والدستور، يجب أن يكون متبنّىً من قبل الأمة، يعيه الجمهور، ويفهمه، ويتبنّى ما فيه.. عندئذٍ يمتلك هذا الخطاب القوة والفاعلية في الحياة السياسية للأمة.

عناصر الخطاب الإسلامي

ولابد أن يعكس الخطاب السياسي وحدة الأمة الإسلامية: ﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1]، ويعكس وحدة إرادتها السياسية.

ولابد أن يعكس هذا الخطاب عِزّة الأمة الإسلامية، وعزة الإسلام، وهيبة الإسلام: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3].

كما لابد أن يعكس العلاقات السياسية للعالم الإسلامي.

وللأسف نجد أن هذه الخصائص مفقودة بالكامل في الخطاب الرسمي للسياسي للأنظمة وفي علاقاتهم السياسية، فإن الخطاب السياسي لطائفة من الأنظمة العربية تجاه أمريكا يحمل طابع الصداقة، بينما تقف أمريكا مع إسرائيل في كل عدوان تقوم به إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني والعالم العربي والإسلامي، مستهينة بالدول الإسلامية والعربية، وأمريكا بحاجة إلى كل قطرة من نفط العرب، غير أنها مطمئنة إلى أن الأنظمة العربية لا تملك القدرة على أي قرار وموقف مضاد لها في علاقتها مع إسرائيل.

وللأنظمة في العالم الإسلامي أفضل العلاقات مع (فرنسا)، وهي تنزع الحجاب من رؤوس بناتنا في المدارس والجامعات ، دون أن تحسب حساباً لغضب المسلمين وغيرتهم على بناتهم ، لا لأن فرنسا لا تحسب حساباً لعلاقاتها مع الدول الإسلامية، ولكن لأنها تعلم أن الأنظمة الإسلامية - في الأكثر - لا تملك القدرة على اتخاذ أي موقف سياسي، واجتماعي تجاه هذا العدوان على فتيات المسلمين في المدارس والجامعات.

ويجب أن يعكس الخطاب الإسلامي رفض المسلمين لكل نفوذ وسلطان

---

١. الأنبياء: ٩٢.

٢. المنافقون: ٨.

٣. آل عمران: ١٣٩.

سياسي واقتصادي وعسكري وثقافي من قبل دول الاستكبار العالمي: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1].

ويجب أن يتضمن الخطاب الإسلامي رفض الركون إلى صداقة دول الاستكبار العالمي: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2].

ويجب أن يتضمن الخطاب الإسلامي استعداد المسلمين للحوار الإيجابي المفتوح مع كل الدول والكيانات السياسية (عدا الكيانات الغاصبة مثل إسرائيل): ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

وهذه هي الصيغة العامة، والأصل الأول في العلاقات السياسية الإسلامية - العالمية.. غير أن الحوار إذا لم ينفع في علاج نقاط الخلاف بين المسلمين وخصومهم السياسيين، فـ (القوة) هي (البديل)، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ﴾[4].. وليس (الحوار) هو الأول والأخير ولا بديل.

ولابد أن يتضمن الخطاب الإسلامي دعوة الإنسانية إلى كلمة التوحيد: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[5]. فهي الكلمة الوحيدة القادرة على أن تجمع البشرية كلها حول محور واحد.

ولابد أن يتضمن الخطاب الإسلامي المرحليّة السياسية، والأولويات السياسية في علاقاتها الإيجابية والسلبية وفي مواقفها السياسية.

---

١. النساء: ١٤١.

٢. هود: ١١٣.

٣. النحل: ١٢٥.

٤. الأنفال: ٦٠.

٥. آل عمران: ٦٤.

ولسنا الآن بصدد إحصاء النقاط والعناصر التي يجب أن يتضمنها ويعكسها الخطاب الإسلامي.

وإنما نقول لابد من تحديد علمي ودقيق لعناصر الخطاب الإسلامي وتدوينه.. فإن الأمة بخطابها، فإذا فقدت الخطاب، فقدت الموقف والقرار.

٢. توحيد الخطاب السياسي

كما يجب أن يعكس الخطاب السياسي الأمة الإسلامية بكل شعوبها وأقاليمها، كذلك يجب أن تتبنى الأمة الإسلامية جميعاً هذا الخطاب.. عندئذٍ يتحول هذا الخطاب إلى (رأي عام إسلامي)، ويتحوّل الرأي العام إلى قوة سياسية هائلة ، وإلى موقف وقرار سياسي، ليس من نوع القرارات والمواقف التي تتخذها الأنظمة.

إن القرار عندما يكون صادراً عن الأمة، يكون قراراً صعباً، لا تتمكن الأنظمة من تجاوزه، ولا تتمكن دول الاستكبار العالمي من اختراقه.

ومشكلتنا أننا نفقد مثل هذا القرار الصعب في وضعنا السياسي.. والبديل لمثل هذا القرار هو القرار الرسمي الضعيف، الذي تتخذه الأنظمة بمفردها أو مجتمعة في مؤتمرات القمة العربية أو الإسلامية، وهو قرار ضعيف، عادة ما يتمخّض عن مجموعة من المعادلات والموازنات السياسية التي تخضع لها هذه الأنظمة ولا تستطيع أن تتجاوزها.

ولذلك نجد أن هذه القرارات معزولة عن إرادة الأمة، ضعيفة في مجال التنفيذ، خاضعة لإرادات الدول الكبرى، والاعتبارات الاستكبارية، مسلوبة النفع والجدوى ، ضبابية، تنحدر باتجاه الأمر الواقع الذي تفرضه عليهم دول الاستكبار العالمي وإسرائيل..

فقد تحوّلت اللاءات العربية الرسميّة بالتدريج إلى قرارات التطبيع تجاه إسرائيل وإلى تبادل الأرض بالسلام، في الوقت الذي لم تتنازل فيه إسرائيل عن شيء من سياساتها، ولم تتنازل أمريكا عن دعم إسرائيل وإسنادها كلما تطلّب الأمر.

وإذا كان هناك من درس وعبرة في هذه الحركة السياسية التنازلية في أوضاعنا السياسية، فهو أن لا نعتمد منذ اليوم على القرارات الرسمية التي تتمخض عنها اجتماعات ومؤتمرات القمة، ونفكر في بديل عن لقاءات القمة الرسمية وعن قراراتها بنوع آخر من اللقاءات والقرارات، وهي لقاءات الأمة وقراراتها، وهي قرارات صلبة، لا تنحدر باتجاه الأمر الواقع الذي تفرضه دول الاستكبار العالمي، ولا يمكن أن تتلاعب به الأنظمة، ولا يمكن اختراقه.

ومثل هذا القرار يحتاج إلى مقومات عديدة؛ منها الوعي السياسي للأمة، وليس وعي النخبة فقط، وإن كان وعي النخبة هو الأساس لوعي الأمة.

والخطاب الرسمي النابع من هذا الوعي يكون خطاباً على مستوى الأمة وحجمها، وليس خطاباً للدوائر المحدودة الضعيفة.

وهذا الخطاب بهذه الخصوصيات التي تحدثنا عنها من مكونات الرأي العام الإسلامي، والموقف والقرار الإسلاميان يتمخضان عن هذا الرأي العام.

إن توجيه الخطاب الإسلامي السياسي، عملية شاقة في الظروف الحاضرة المتجهة باتجاه التعدديات السياسية، ففي ظروف ينادي الجميع بـ (التعددية السياسية) في الخطاب والقرار.. من الصعب جدا تحقيق توحيد الخطاب والقرار السياسيين للعالم الإسلامي.

ولكنه رغم كل الصعوبات، فهو مسؤولية كل العاملين الإسلاميين من مختلف المذاهب الإسلامية، الشاعرين بأهمية وحدة الخطاب السياسي للأمة الإسلامية.

فليس بوسعنا إطلاقاً أن نحوّل الخطاب الرسمي في العالم الإسلامي إلى خطاب إسلامي واحد بمستوى هذه الأمّة وبحجمها العظيم، وليس بوسعنا أن نُحوّل خطابنا الإسلامي إلى قوة سياسية إلاّ إذا جمعنا عزمنا على توحيد الخطاب السياسي عبر كل المشاكل والعقبات.

وأعظم هذه العقبات إزالة الحواجز المذهبية القائمة بين المسلمين والموروثة منذ قرون طويلة.

إنّ تجاوز هذا الحاجز العتيد أمر صعب، ولكنه واجب، وليست لنا خيارات كثيرة لنتردّد بينها..

فنحن نواجه اليوم دول الاستكبار العالمي، وفي مقدمتها أمريكا، ونواجه العدوان الإسرائيلي السافر على أراضينا وعلى المسجد الأقصى، ونواجه الاستبداد السياسي المرتبط بعجلة الدول الكبرى لأكثر الأنظمة التي تحكم بلاد المسلمين، ونواجه الاحتلال الأمريكي لأراضينا، والإرهاب اللا منطقي واللا معقول الذي يُقَدِّمُ صورة مشوهة عن الإسلام إلى الناس.. في مثل هذه الظروف لا خيار لنا إلاّ أن نتجاوز سياج الطائفية السياسيّة، بالتفاهم والحوار المشترك للوصول إلى خطاب إسلامي واحد، يوحّد الموقف والقرار الإسلامي.

ولا يضيرنا أن يكون هذا الخطاب معزولاً عن القوة والإسناد والدعم الدولي، فإن وحدة الخطاب الإسلامي هو بنفسه قوة هائلة في موازنات القوى في العالم اليوم.

والعلاقة بين (لقاءات التفاهم) و(توحيد الخطاب الإسلامي) علاقة جدلية تبادلية، فإن (لقاءات التفاهم) والحوار الإسلامي تؤدي إلى (توحيد الخطاب) والموقف والقرار السياسي، و(توحيد الخطاب) والموقف والقرار يعمّق هذه (اللقاءات) ويكثّفها ويؤكدها.

والمواقف والقرارات السياسية النابعة من وحدة الخطاب الإسلامي هي بالضرورة مواقف وقرارات صعبة، لا تخترقها دول الاستكبار العالمي، ولا تُمَرِّنها الموازنات الدولية.

٣. الحوار والتفاهم

لابد لنا من الحوار والتفاهم في الساحة الإسلامية الكبيرة، وإذا عجزنا عن تحقيق الحد الأدنى من الحوار والتفاهم، فإن مصيرنا إلى الوقوع في دائرة نفوذ دول الاستكبار العالمي، لا محالة، وليس أمامنا خيارات كثيرة.. إن الحالة الإسلامية المتشتّتة اليوم لا تستطيع أن تنهض بوجه المشاريع الاستكبارية.

وليس لنا أمل معقول في الأنظمة العربية والإسلامية – في الغالب – أن تنهض بهذا الدور في جمع الشمل الإسلامي، وإتاحة فرصة الحوار والتفاهم للوصول إلى القدر الممكن المعقول من التفاهم والمواقف والقرارات المشتركة.

وإذاً؛ لا خيار لنا عن اللقاءات الإسلامية على مستوى الجمهور، وعلى مستوى النخبة من العلماء والمثقفين.

وقد جعل الله تعالى في هذه اللقاءات خيراً كثيراً لهذه الأمة؛ تذيب الجليد المتراكم على العلاقات، وتفتح القلوب، وتكون سبباً لتراشد العقول، واللقاء والقوة، ويد الله على الجماعة، وحيث تكون يد الله تكون البصيرة والقوة. ويد الله على الجماعة ومعها.

غير أن هذه الجماعة لا تتحقق في واقعنا الاجتماعي والسياسي، ولا تكتسب يدَ الله إلا إذا كانت جماعة موجّهة وراشدة.

أما اللقاءات غير الراشدة وغير الموجهة، والجماعات الغوغائية التي يجمعها

الشعار، ويفرقها الشعار، من دون وعي ولا رشد، فليست هي الجماعات التي تكتسب معها وعليها يد الله تعالى.

إن علينا أن نعمل ما بوسعنا لتكثيف هذه العلاقات داخل الساحة الإسلامية بين المسلمين والمؤمنين من خلال اللقاءات المشتركة بين السنة والشيعة, واللقاءات الهادفة الراشدة داخل الساحة الشيعية، وفي الساحة السنية، على مستوى الجمهور، وعلى مستوى النخبة من العلماء والكتّاب والخطباء والمثقفين، والأحزاب والحركات والمنظّمات الإسلاميّة.

ولكل من هذين اللقاءين (لقاء الجمهور ولقاء النخبة) نكهته الخاصة به، وتأثيره الخاص في توعية الأمة وتثقيفها، ونحن نحتاج إلى كل منهما في ترشيد مواقفنا وقراراتنا السياسية وإسنادها.

٤. المطاوعة

وحيث لا يمكن الوصول بالتفاهم إلى قناعة مشتركة وقرار مشترك، فلا بد من (المطاوعة)، فإن الساحة الإسلاميّة لا تحتمل الانشطارات والتحالفات، ولابد من توحيد الخطاب والموقف والقرار السياسي، بأي ثمن معقول.. فإذا لم نتمكن في الساحة الإسلامية من الوصول إلى قناعة مشتركة، فلابد من المطاوعة لتحقيق هذه الغاية.

ولو كان المسلمون يتفقون على محور واحد في طاعة أولياء الأمور، كما يقرره الإسلام، أغنت (الطاعة) عن (المطاوعة)، وكانت الطاعة هي الأصل، ولكن إذا كان لا يمكن - لأي سبب كان - تحقيق هذه الطاعة في الساحة الإسلامية الكبرى، فالمطاوعة هي البديل عن (الطاعة) و(التفاهم) للوصول إلى القناعات المشتركة.

ولنا في أمير المؤمنين أبي الحسن عليه السلام أسوة وقدوة.. عندما نُحيت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عنه، وهو يرى أنها من حقه، فرأى أنه إذا وقف موقف المعارض السياسي من النظام القائم، فسوف يؤدي ذلك إلى إضعاف الإسلام والمسلمين، فلم يتردد في أن يقف مع الخليفة، ويؤيده، وينصره، ويسنده.. رغم رأيه الذي أعلنه في خطبته الشقشقية المعروفة في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستمع إليه يوضح موقفه من الخلافة والمعارضة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، تشعر بعمق روح المسؤولية:

(فَلَمَّا مَضَى صلى الله عليه وآله تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلاَ يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلاَمِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُم)[1].

ولكن لابد أن ننبّه في هذا العنوان إلى ثلاث نقاط:

١. إن المطاوعة تصحّ عند اختلاف الرأي والاجتهاد في المسائل السياسية، وليس في الدين وأصوله وفروعه.

٢. لابد أن تتحول (المطاوعة) إلى مبدأ من مبادئ العمل الجمعي، يؤمن به الجميع، ويعملون به جميعاً، ولا تكون المطاوعة من طرف واحد دائماً.. فإن المطاوعة من طرف واحد هي التبعية السياسية ذاتها. ونحن لا ندعو إلى التبعية، وإنما ندعو إلى المطاوعة، ولا نعتقد أن التبعية توحّد الخط السياسي الإسلامي والمواقف والقرارات الإسلامية.

١. نهج البلاغة، من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله، ص٣٨٩.

٣. ليست المطاوعة بديلاً اختيارياً عن (الطاعة) و(التفاهم)، ولا يركن إليها إلا عندما تتعذر وحدة الطاعة، والوصول إلى قناعات مشتركة بالتفاهم، فهي بديل اضطراري لها، وليست بديلاً اختيارياً.

٥. الطاعة

يبقى الكثير من مشاريعنا السياسية، في الوحدة الإسلامية، ووحدة الموقف، والقرار السياسي، والقوة، والرأي العام الإسلامي، ووحدة الخطاب السياسي، وغيره.. شعاراً وحبراً على ورق، وأمنيات حتى يتحقّق في حياة المسلمين أصل (الطاعة لأولي الأمر).

فإذا أخذ المسلمون بأصل (الطاعة)، تحوّلت هذه الشعارات والأمنيات إلى واقع على الأرض.

والذي صمّم خارطة الأمة الإسلامية الواحدة، القويّة، الشاهدة، المعتصمة بحبل الله، ذات الدور الوسط في حياة البشرية، والقيّمة على المجتمع الإنساني العام، المستعلية ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١].. الذي صمّم هذه الأمة بهذه الأوصاف العظيمة، جعل الطاعة أصلاً وأساساً صلباً لها.. يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢].. وهذه الطاعة لأولي الأمر هي ملاك هذه الخصال العظمى جميعاً، ومن دون الطاعة تبقى هذه المشاريع السياسية الكبرى في الإسلام شعاراً، لا تغني ولا تسمن من جوع.

إن الطاعة قوة، ورشد، وكرامة، وعزة، ونظام في حياة الأمة.

ويُجمع المسلمون - من كل المذاهب الفقهية - كما حققنا ذلك في

١. آل عمران: ١٣٩.

٢. النساء: ٥٩.

كتاب (ولاية الأمر) على أن (الفقاهة)[1] هي شرط (الولاية) في الإسلام، والفقيه المتصدي الناهض بالأمر هو الذي يجب على المسلمين إشهار ولايته ومبايعته بالطاعة.

وأعزّ شيئين يسرقهما منّا أعداؤنا هما (الثقة) و(الطاعة)، والطاعة قائمة على الثقة، فإذا فُقدت الثقة، فقدت الطاعة بالضرورة.

وقد بذل أعداؤنا جهداً كبيراً لإضعاف هذه الثقة في نفوس الناس تجاه الفقهاء المتصدين والتشكيك فيهم، وتجاه الحوزات العلمية.. ولو أردنا أن نحصي مشاهد ومظاهر من هذه التشكيكات لطال بنا الكلام.

وعلينا في مقابل هذا التشكيك الواسع أن نعمد إلى تعميق حالة (الثقة) و(الطاعة) في نفوس الناس تجاه المرجعية الدينية السياسية.

والطاعة في الإسلام طاعتان: طاعة لله تعالى في شؤون التشريع، وطاعة لرسول الله وخلفائه (أئمة المسلمين) عليهم السلام ومن ينوب عنهم في التصدي لشؤون المسلمين من الفقهاء. والطاعة الثانية غير الطاعة الأولى.

فإن الطاعة الأولى؛ في الثوابت التشريعية من الحلال والحرام. والطاعة الثانية؛ في المتغيرات السياسية التي يتصدّى لها الفقيه المتصدي في عصر الغيبة نيابة عن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولرسول الله صلى الله عليه وآله طاعتان: طاعة فيما يُبلّغ عن الله من الشريعة والأصول

١. المقصود بـ(الفقاهة) هنا هو (الاجتهاد) أي أنه يشترط في الولي الحاكم أن تتوفر لديه ملكة استنباط الأحكام الشرعية من أصولها. طبعا بالإضافة إلى الشروط الأخرى التي يجب أن تتوفر في المجتهد مثل العدالة وطهارة المولد و... لكن في الحاكم المتصدي للحكم وولاية الأمة لابد من شروط إضافية على الفقيه المجتهد؛ مثل الأعلمية والتقوى والقدرة على القيادة بمعنى أن يكون ملمّا وعارفا بزمانه والظروف السياسية المحيطة بالأمة الإسلامية، ومطلعا على السياسات الخارجية، ويُطلق عليه في الفقه: (الفقيه الجامع للشرائط). (من المحقق)

والأخلاق مثل: الصلاة والصيام، وأحكام الأحوال الشخصية، وأحكام العقود، وما يشبه ذلك من ثوابت الإسلام في الأصول والفروع والأخلاق.. وهي في الأصل طاعة لله تعالى حتى لو كان التبليغ بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والطاعة الثانية لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ وهي الطاعة في المتغيرات من الشؤون السياسية والإدارية التي كان يمارسها رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته بالولاية على المسلمين.

وإلى هاتين الطاعتين تشير الآية الكريمة المتقدمة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

وتكرار الطاعة في الآية يشير إلى تعدد الطاعة: الطاعة الأولى لله في الثوابت الدينية، والطاعة الثانية لرسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة المسلمين عليهم السلام في المتغيرات السياسية والإدارية التي يتولاها أولياء أمور المسلمين ونوابهم في عصر الغيبة.

ومن يتأمل في النصوص الإسلامية يجد اهتماماً وتأكيداً كبيراً على الطاعة بقسميها.. وهذا التأكيد والتأصيل لـ (الطاعة) في الإسلام بالتفصيل المتقدم هو من أبلغ الأدلة على وصل السياسية بالدين، وإبطال نظرية فصل الدين عن السياسة، فلا معنى للطاعة الثانية إذا قلنا بفصل الدين عن السياسة.

وقد ثبت بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمارس الولاية والزعامة السياسية على المسلمين، وكان يلزم الناس بطاعته؛ ليس فقط في الثوابت التشريعية من الحلال والحرام؛ بل في المتغيرات السياسية في الحرب والسلم والاقتصاد والإدارة والنصب والعزل.

وقد غُيِّبَ عن المسلمين أصل (الطاعة السياسية) في ظروف الدعوة إلى فصل

---

١. النساء: ٥٩.

الدين عن الدولة، وتمّ تهميش (الطاعة) عن علم وعمد من حياة المسلمين.

واليوم؛ إذ يستعيد الإسلام دوره السياسي والقيادي البارز في العالم، لابد أن نعمل بجد في تأصيل (الطاعة)، وتعميق ثقافة الطاعة، ووعي الطاعة. وهذا العمل يتطلب جهداً ثقافياً واسعاً يقوم به العلماء والمفكرون والخطباء في أوساط المسلمين.

٦. العقلانية والموضوعية في القرار

بين (القرار) و(الشعار) فرق، فما يطلب من القرار لا يطلب من الشعار، وما يطلب من الشعار لا يطلب من القرار.

الشعار يتضمن غالباً المبادئ، ويلحظ فيه عامل التحريك والتثوير والإعلام.. ولابد منه في العمل السياسي، ولا غنى عنه.

ولكن لابد إلى جانب (الشعار) من (القرار).

وفي القرار لابد من ملاحظة الـظروف الموضوعية التي تحيط بالقرار، والضواغط السياسية والاقتصادية الموجودة في الساحة، ولا يصح تجاوز هذه ولا تلك، ولا تجاوز الواقع السياسي القائم.

وليس معنى ذلك أننا في (القرار السياسي) و (الموقف السياسي) نتجاوز المبادئ السياسية التي تؤمن بها، فهذا أمر لا يجوز أن يحدث بحال من الأحوال.

ولكن الظروف الموضوعية والقاهرة التي نعيشها تتطلب منا المرونة في تنفيذ المبادئ في حدود قدرة الساحة والظرف السياسي على استيعاب المبادئ، وترحيل المبادئ في مواضع التطبيق والعمل ضمن منهج علمي موضوعي.

إنّ الساحة السياسية العالميّة والداخليّة ساحة معقدة، تدخل مجموعة

من العوامل في تكوين هذه الساحة وفي العملية السياسية، لابد أن تؤخذ هذه العوامل القهرية والضاغطة بنظر الاعتبار.

وأعتقد أن هذه النقطة هي المفرق بيننا وبين بعض المجاميع الإسلاميّة التي كانت تُحرّم المشاركة في الحكم والانتخابات في ظروف وجود الاحتلال.

وفي رأينا إن هذا الرأي أشبه بالشعار منه إلى قرار وموقف سياسي ناصح ومسؤول.

فلا نختلف نحن في رفض الاحتلال ومعارضته، ووجوب مكافحته، ومكافحة حالة التطبيع السياسي لحضور الاحتلال.

ولكننا نعتقد أن حضور المخلصين الواعين الصالحين من أبناء الساحة، رغم وجود الاحتلال ونفوذه وسلطته في الساحة، أفضل من غيابهم، وأن غياب الصالحين من أبناء الساحة لا يزعج المحتل؛ بل يفسح له المجال لملء الساحة والمواقع بالعناصر الانتهازية التي تحسن المساومة والتعامل مع المحتل.. بل نعتقد أن الحضور هو المتعيّن في ظروف وجود الاحتلال، بقدر الإمكان، والغياب عن مواقع الحكم والقرار والإرادة خطأ تاريخي، لا ندفع نحن ضريبته فحسب بل يدفع أبناؤنا أيضاً ضريبة هذا الغياب اللا مسؤول، الذي تطغى عليه حالة المزاجية والانفعال.

وليس معنى المشاركة في مواقع الحكم والقرار قبول الاحتلال، والتعامل معه من منطلق التطبيع؛ بل يبقى الأصل السياسي الإسلامي الذي لا يتغير في التعامل مع الاحتلال هو الرفض، والحظر، والكفاح، ضمن منهج مرحلي موضوعي، يأخذ بنظر الاعتبار إمكانات الساحة، وقدراتها، وضرورة إعداد الساحة والرأي العام الداخلي والإسلامي والعالمي لهذه المواجهة التي لابد منها مع

الاحتلال، كما سبق أن أشرت إلى ذلك في هذا المقال[1].

المفردات الاقتصادية في المشروع الإسلامي

العامل الاقتصادي من مكونات القوة في العالم

لا يمكن تجريد القوة من الاقتصاد. فلكي نواجه التحديات المعاصرة الكبرى لابد أن نكتسب القوّة التي تمكننا من الدخول في هذه المواجهة، والتغلب عليها.. والعامل الاقتصادي من مكوّنات القوة، فإن الحياة المعاصرة، شبكة مترابطة، يدخل فيها الاقتصاد في السياسة، والسياسة في الاقتصاد، وكلاهما في تكوين القوة العسكرية..

وما لم نحقّق نحن، في العالم الإسلامي، حالة الاكتفاء الذاتي في حياتنا

---

١. قد يقال بأن هذه السياسة لا تجدي نفعا مع الاحتلال، ولابد من المقاومة المسلحة أمثال تلك التي أخرجت الاحتلال الأمريكي من العراق في عام ٢٠١١، والذي عاد إليها من جديد من بوابات أخرى سياسية ودبلوماسية وعن طريق نفس الدولة والحكومات المتعاقبة على الحكم في العراق إلى الآن وبشكل شرعي ومقنن؛ بل أخذ الاحتلال الأمريكي بالتمدد أكثر فأكثر ويوما بعد يوم، وبسبب هذا الوجود وهذا التمدد، أصبح العراق محتلا بطريق غير مباشر ومنطلقا لكثير من الاعتداءات الأمنية والاستخباراتية والعسكرية على دول الجوار؛ مثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية والجمهورية العربية السورية؛ وأصبحت القوات الأمريكية موجودة في خاصرة محور المقاومة، وأصبحت تعربد وتعتدي، وتفتح المعابر غير الشرعية كما يحلو لها، وتغلق المعابر الشرعية كما يحلو لها إذا كانت تضر بمصالحها ومصالح إسرائيل، كما أن إسرائيل والمجموعات الإرهابية والمسلحة أصبحت أكثر قوة ودعما واعتداء وعربدة. إذًا؛ صحيح أن الصالحين يشاركون في العملية السياسية وهم موجودون بالفعل، لكن هل يمكن لأمريكا أن تسمح لهم بالتصرف بكامل حريتهم؟ بالتأكيد لن تسمح لهم وسوف يكون القرار السياسي مخترقا، وإن لم تستطع أمريكا اختراقه فإنها تعمل على إسقاطه عن طريق تحريض الشارع كما حصل مع حكومة عادل عبد المهدي، أضف إلى ذلك أن الأوضاع الداخلية في العراق على مختلف الأصعدة سواء السياسية والاقتصادية والخدمية والأمنية و.. لم تستقر إلى الآن. والكلام يطول وللحديث شجون.. (من المحقق)

الاقتصادية، لن نستطيع أن نقيم علاقات سياسية متكافئة مع العالم عموماً، ومع دول الاستكبار العالمي خصوصاً، ونبقى في حالة التبعية السياسية النابعة من التبعية الاقتصادية.

وإذا كان موقعنا السياسي في معادلات القوة على وجه الأرض هو التبعية السياسية للدول الصناعية الكبرى ودول الاستكبار العالمي، فلن نقوى أبداً على مواجهة التحدّيات، وسوف ننحدر من موقع التحدّي إلى التطبيع، كما حصل ذلك في موقع أكثر الأنظمة العربية تجاه المشروع الصهيوني في فلسطين.

وليس معنى ذلك أن العامل الاقتصادي هو الأصل والأساس كما تذهب إلى ذلك الماركسية، فنحن نختلف عن الماركسية في فهم سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع وتفسيرها، ونعتقد أن للعمل الثقافي الدور الأول والقاعدي في بناء المجتمع.. ولكن يبقى للعامل الاقتصادي الدور المؤثر في البنية الاجتماعية والقوة السياسية لكل المجتمع.

ومن دون تحقيق الاكتفاء الذاتي لن نخرج عن دائرة التبعية السياسية.. وهذه حقائق لا يمكن التشكيك فيها.

وليس معنى الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد أن نخرج عن المنظومة الاقتصادية العالمية، والقائمة على الأخذ والعطاء، والتصدير والاستيراد، والعلاقات الاقتصادية المتبادلة، وندخل في دائرة اقتصادية مقفلة. فهذا ما لا يمكن، ولا يكون في عالم العلاقات الاقتصادية المنفتحة والمتشابكة اليوم.

ولكن معنى الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد أن نخرج عن دائرة العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة في الاستيراد والتصدير، والأخذ والعطاء، إلى دائرة العلاقات الاقتصادية المتكافئة في الاستيراد والتصدير، والأخذ والعطاء.

وليس على أسواقنا وتجارتنا ومصادرنا الطبيعية بعد ذلك من بأس أن تفتح،

مع بلاد العالم جميعاً، علاقات اقتصادية متكافئة.

ولا نستطيع أن نحقق حالة الاكتفاء الذاتي في أوضاعنا الاقتصادية من دون أن نكتسب الكفاءات العلمية.

فإن الصناعات الخفيفة والثقيلة والزراعة والتجارة مجموعة اختصاصات علمية، ومن دون أن نكتسب هذه الاختصاصات لا نستطيع أن نُنشِّط حركة التصنيع والزراعة والتجارة في بلادنا.

هذه نقاط يتبع بعضها بعضاً، ولا يمكن التفكيك بينهما.. القوة لا تتحقق من دون العامل الاقتصادي، ولا يمكن تنشيط وتفعيل العامل الاقتصادي من دون أن نحقق الاكتفاء الذاتي في أوضاعنا الاقتصادية. وبغير ذلك لا نستطيع أن نقيم مع العالم من حولنا علاقات اقتصادية متكافئة.

ولا يتيسر لنا تحقيق ذلك من دون كسب الكفاءات العلمية التي تحرك العجلة الاقتصادية في الصناعة والزراعة والتجارة.

ونحن في الوقت الذي نصر ونؤكد على خطورة استيراد الثقافة، نؤكد على ضرورة كسب التخصّصات العلمية التي يتقدمنا فيها الغربيون، ونقول إننا من دون هذه الكفاءات لا نستطيع أن نحقق تطوراً كبيراً في حياتنا الاقتصادية.. والعلم سلاح، ولابد أن نتسلّح نحن بهذا السلاح من أي مصدر ممكن ومعقول.

تدوين المشروع الإسلامي

وبعد؛ هذه طائفة من مفردات المشروع الإسلامي لمواجهة التحديات الكبرى المعاصرة، فإن التحديات الثلاثة الكبرى التي نواجهها وغيرها من التحديات ليست أعمالاً فردية، وإنما هي أجزاء من مشروع سياسي واسع وكبير لإحباط النهضة الإسلامية المعاصرة.

ولمواجهة هذا المشروع السياسي، الثقافي، الاقتصادي، لابد من مشروع إسلامي مكافئ لهذا المشروع.

وقد استعرضنا نحن في هذا المقال طائفة من مفردات المشروع الإسلامي.. وأما المشروع نفسه فيحتاج إلى وقفة أطول، ودراسة موسّعة من قبل مجموعة من أصحاب الاختصاصات المختلفة من المعنيين بالشؤون الإسلامية المعاصرة.

العلاقة بين الشرق والغرب

وفي نهاية هذا المقال لابد من أشير مرة أخرى إلى أننا في معترك حضاري وسياسي وثقافي واقتصادي و..

ونواجه في وسط هذا المعترك أشرس أنواع المواجهة والمقارعة.. وإن خصومنا في هذا الصراع السياسي والثقافي تَخَلَّوا حتى عن الذوق السياسي والثقافي الذي يعم الناس جميعاً، ولم يعد بإمكانهم أن يخفوا كراهيتهم للإسلام؛ رغم حاجتهم الشديدة إلى المسلمين في كل شؤونهم الاقتصادية..

فلا تكاد فرنسا، بحجمها الحضاري والسياسي الكبير في الغرب، تطيق فتيات مسلمات مراهقات معدودات يدخلن المدارس الفرنسية بحجابهن الإسلامي، وتضيق ذرعاً بهنّ، ويقرر البرلمان الفرنسي منع الحجاب الإسلامي في المدارس والدوائر الحكومية.

والمعروف عن فرنسا أنها حاملة لواء الحرية في العالم !!!.

إن المسألة بيننا وبين الأنظمة الغربية أعمق من ذلك.. ولا نزال نذكر إنذار الرئيس الأمريكي للغربيين عشية ١١ سبتمبر بعودة الحروب الصليبية بين الغرب والشرق من جديد.

إنَّ من الخطأ أن نساير الرئاسة الأمريكية في هذا الإعلان والإنذار العالمي، ونقف موقف العداء من الغربيين.. فإنَّ بيننا وبين الغرب علاقات نحرص على المحافظة عليها، وتطويرها، وتنميتها، وتلطيفها، رغم كل مظاهر العداء التي نواجهها نحن من قبل الغربيين.

ولكن من الخطأ أيضاً أن نجهل نحن حقيقة الدور الاستكباري للغربيين، وبشكل خاص أمريكا تجاه العالم الإسلامي، ونَمُرُّ على الدعم الغربي عموماً والأمريكي خصوصاً لإسرائيل من دون أن نتساءل عن أسباب ذلك، ومن دون أن نرتاب في حقيقة هذا الدعم.

ومن الخطأ أن نتعامل مع الدعم الأمريكي المتواصل لإسرائيل وسكوتها عن قدرتها النووية؛ بل إسنادها لها، والموقف المتشدد الأمريكي من التطور التقني النووي في العالم الإسلامي، كما نشاهد نظير ذلك في الموقف الأمريكي المتأزم من إيران.. من الخطأ أن نتعامل مع هذه المفارقات الكبيرة في الموقف الأمريكي منا ومن أعدائنا بسذاجة وسطحية.

من الخطأ أن نقف موقف العداء السافر من الغرب، كما يفعل قادة الغرب في أمريكا، وفرنسا، وإنجلترا وغيرها تجاه العالم الإسلامي.

ولكن من الخطأ أيضاً أن نمرّ بهذه المفارقات في السلوك السياسي للأنظمة الغربية عموماً ولأمريكا خصوصاً تجاه العالم الإسلامي بسذاجة ومن دون توقف.

إن المسلم يتغافل، ولكن لا يغفل.

والتغافل في العلاقات السياسية فضيلة وقيمة، ولكن الغفلة والسذاجة ضدّ القيمة.

إننا لا نستطيع أن نواجه المشروع الاستكباري الغربي الأمريكي لإحباط النهضة الإسلامية المعاصرة، من دون وجود مشروع إسلامي مكافئ ومقابل له، وتحقيق هذا المشروع يتطلب تضافر الجهود والعقول والقلوب والأيدي.

وإذا تضافرت العقول والقلوب والأيدي في العالم الإسلامي لتحقيق هذا المشروع، فلابد أن تكون يد الله تعالى معنا؛ لأن يد الله - عزوجل - على الجماعة الإسلامية، ومعها دائماً.

وإذا كانت يد الله تعالى معنا وعلينا، فلا يتخطانا النصر، مهما بالغ أعداؤنا في إحباط أعمالنا ومشاريعنا إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر

٤. القرآن الكريم.

٥. نهج البلاغة، جمع وشرح الشريف الرضي، طهران - إيران: مؤسسة نهج البلاغة، ١٣٧٢ هـ ش.

٦. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي.

٧. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت - لبنان: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ق.

٨. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي، سنن الدارمي (مسند الدارمي)، تحقيق: نبيل هاشم العمري، بيروت - لبنان: دار البشائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م.

٩. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا - لبنان: المكتبة

العصريـة، [د تـا].

١٠. ابـن حنبـل، أحمـد بـن محمـد الشـيباني، مسـند الإمام أحمـد بـن حنبـل، تحقيـق شـعيب الأرنـؤوط، بيـروت - لبنـان: مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة الأولـى، ٢٠٠١ م.

١١. ابـن ماجـة، أبـو عبـد الله محمـد بـن يزيـد، سـنن ابـن ماجـة، دمشـق - سـوريا: دار الرسـالة العالميـة، الطبعـة الأولـى، ٢٠٠٩ م.

١٢. النسـائي، أبـو عبـد الرحمـن أحمـد بـن شـعيب، سـنن النسـائي (السـنن الصغـرى)، تحقيـق: عبـد الفتـاح أبـو غـدة، حلـب - سـوريا: مكتـب المطبـوعات الإسـلامية، الطبعـة الثانيـة، ١٩٨٦ م.

إصدارات مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي رحمه الله

سلسلة المقاومة في فكر العلامة الآصفي:

١. فصول المقاومة
٢. الوعد الصادق، دلالات ودروس انتصار حزب الله على إسرائيل
٣. مقاومة الاحتلال الإسرائيلي
٤. النصر الإلهي ومنهج التعامل مع الأعداء
٥. التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية (هذا الكتاب)

كتب متنوعة:

١. شرح دعاء الأسحار
٢. الثقافة القيادية والإدارية في القرآن والسنة

إن من أفضل أساليب مقابلة التحدي مقابلته بالتحدي. إن الدفاع أمر لابد منه في أية مواجهة وأي تحدٍ وفتنة. ولكن موقع الدفاع موقع ضعيف دائماً، ولا يصح الاقتصار عليه.